اليوم أرفع رأسي عاليا

عامر أبو سميّة

ارفع رأسك إنك مسلم ..

إنك على الدّين الحقّ !



دار الوفاء - المنصورة - مصر

ارفع رأسك .. إنك مسلم

إنك على الدين الحق

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـــ ٢٠١٠م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ جمهورية مصر العربية

الإدارة: المنصورة ـ ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ص.ب ٢٣٠ ت: ٢٠٥٠٢٢٥٦٢٣٠+ فاكس: ٢٠٥٠٢٢٦٠٩٧٤+

e.mail:darelwafa@hotmail.com

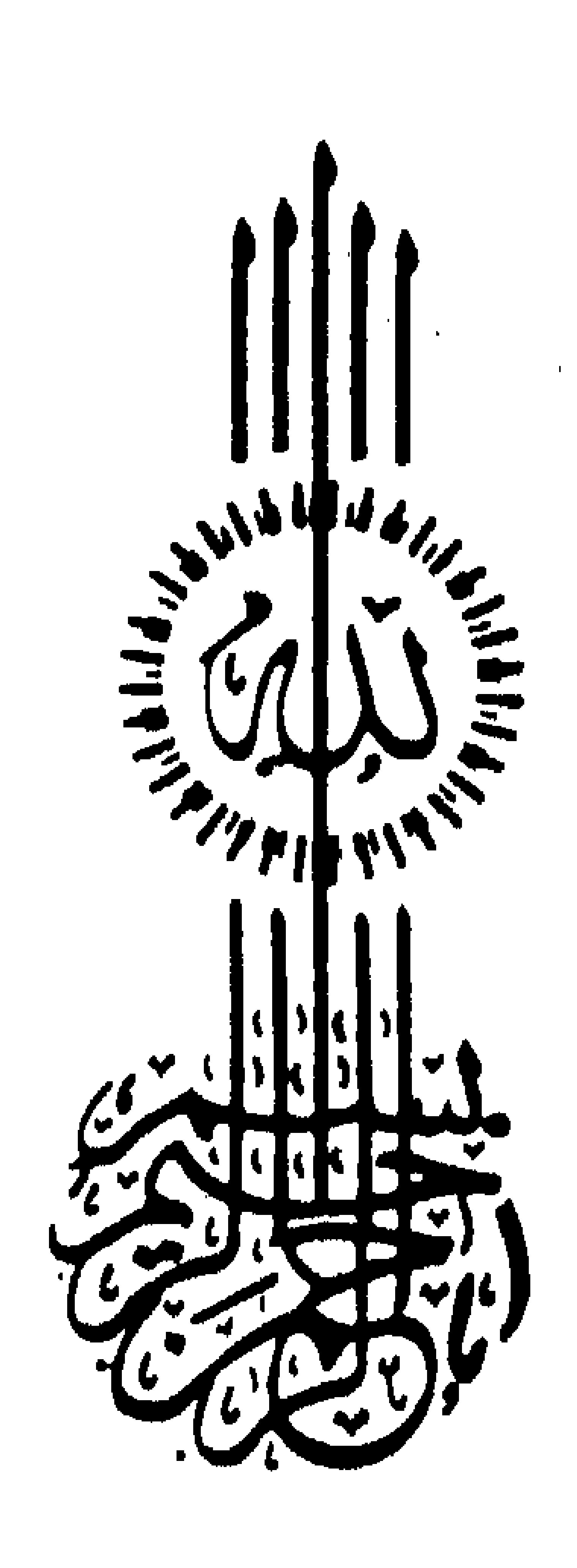
www.darelwafaa.com

ارفع رأسك .. إنك مسلم
إنك على الدين الحق

تأليف

عامر بن عامر العفاس

دار الوفاء


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة قبل البداية

ارفع رأسك إنك مسلم ، إنك على الدين الحق ، وإذا كان لأحدٍ أن يحني رأسه خجلاً ، فهو الذي يستكبر عن عبادة الله أو عن الامتثال لأوامره !

عامر أبو سمية

تمهيد

في هذا الكتاب ، سنتحدّث يا أخي الكريم ويا أختي الكريمة عن الإسلام ونقارنه بعقائد المسيحيّة واليهوديّة والدّيانات الأخرى ، لكي تزدادا يقينًا أنّكما على الدّين الحقّ .

الفصل الأوّل

إنّ الدّين عند اللّه : الإسلام !

الإسلام دين كلّ الأنبياء !

نعم ، ولو قرأتِ يا أختي الكريمة القرآنَ من أوّله لآخره ، لَوجدت فيه ذكْرًا للعديد من الأنبياء والرُّسُل ، مثل إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وسليمان وموسى وعيسى ومحمّد ، عليهم الصّلاة والسّلام ، غير أنّكِ لن تجدي آيةً واحدة تذكُر أنّ موسى عليه السّلام دعا بني إسرائيل إلى الدّين اليهودي ، أو أنّ عيسى عليه السّلام دعا قومه إلى الدّين المسيحي ! هل تعرفين لماذا ؟

لأنّ الدّين عند الله منذ خلَقَ البشريّة ، هو دينٌ واحدٌ ، وهو الإسلام ! وكلُّ الأنبياء والرُّسُل كانوا مسلمين ، ودعَوْا أقوامَهم إلى الإسلام ! إنّما فقط اختلفت التّشريعاتُ من نبيّ لآخر . حتّى اكتملت بشريعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم .

خاتم الأنبياء والمرسلين .

لنستمعْ لِمَا يقول القرآن في هذا الموضوع : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٣- آل عمران ١٩) . وهذا إعلانٌ صريحٌ بأنَّ الدِّين عند الله هو الإسلام .

ويقول تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٣٠-١٣٦) . وهذا إعلانٌ آخر ، واضحٌ وجليٌّ ، بأنَّ إبراهيم عليه السَّلام (أبو الأنبياء) ، ويعقوب (وهو إسرائيل ، وإليه ينتسبُ اليهودُ فيُقال لهم بَنُو إسرائيل) ، هذان النَّبيَّان كانَا مُسلمَيْن ، وأَوْصَيَا أبناءهما أن يموتُوا على الإسلام !

ويقول تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٤٠) . وهذا إعلانٌ ثالثٌ ، لا لُبْس فيه ، بأنْ إبراهيم وإسماعيل والأسباط عليهم السَّلام لم يكونوا يهودًا ولا مسيحيِّين ! بل حتَّى إسحاق ويعقوب عليهما السَّلام ، وهما أوَّل أنبياء بني إسرائيل ، نَفَى اللهُ تعالى عنهما أنَّهما كانا يهوديَّيْن ! لقد كانوا كلُّهم مسلمين كما ذكَرْنا !

ويقول تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا

وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٣- آل عمران ٦٧) .

ويخبرنا تعالى عن النبيّ يوسف عليه السّلام أنّه قال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (١٢- يوسف ١٠١) .

ويقول تعالى عن النبيّ نوح عليه السّلام : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١٠- يونس ٧١-٧٢) . كلُّ هذه الآيات تُعلنُ إذًا بوضوح أنَّ كلَّ الأنبياء كانوا مسلمين .

فلمّا بعثَ اللهُ محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم ، جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا نبيَّ بعده إلى يوم القيامة . يقولُ الله

تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ (٣٣- الأحزاب ٤٠) .

وأرسلَه إلى كلّ النّاس ، في حين أنّ الأنبياء قبلَه كانُوا يُبعثون إلى أقوامهم فقط . فهو نبيُّ البشريّة جمعاء إلى يوم القيامة . يقول تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨ ﴾ (٣٤- سبأ ٢٨) .

وأكملَ له الدّين ، فأصبح الإسلامُ ببعثته أكمل الشّرائع السّماويّة . يقول تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٥- المائدة ٣) . وقد نزلتْ هذه الآية والنّبيُّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم فوق جبل عرفات بمكّة ، في حجّة الوداع . فلم يلبث بعد ذلك إلاّ ثلاثة أشهر ثمّ تُوُفّي .

ولن يقبل الله غير الإسلام !

ذكرنا في العنصر السّابق أنّ كلّ الأنبياء دَعَوْا إلى عبادة إله واحد ، وهو الله سبحانه ، وإلى اعتناق دين واحد ، وهو الإسلام . وكلّ نبيٍّ دعَا قومه إلى الإيمان بجميع الأنبياء الذين سبَقُوه ، وبالكُتُب التي أُنزلَتْ عليهم ، وهذا بدليل القرآن .

وبحُكم تغَيُّر الأزمان وازدياد عدد سكّان الأرض ، كان لا بُدَّ عند إرسال نبيّ جديد من إدخال بعض التّعديلات على التّشريعات التي قبله ، حتّى تكون أكثر ملاءمة لاحتياجات النّاس في الزّمن الجديد . فكان التّشريعُ الجديد ينسخ (أي يُلغي) بعض التّشريع الذي قبْله ، والكتابُ الجديد ينسخ بعض ما جاء من تشريعات وأحكام وأوامر

ونواهي في الكتاب الذي سَبقه .

طبعًا ، أصولُ العقيدة وركائزُها ، مثل وحدانيَّة الله تعالى ، والإيمان بالملائكة والرُّسُل واليوم الآخر والحساب والجنَّة والنَّار ، بقيَتْ ثابتة .

فلمَّا بعثَ اللهُ تعالى محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم نبيًا للنَّاس جميعًا ، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، كان من المنطقي أن يُمدَّه بتشريع يكون ملائمًا ، ليس لزَّمانه فقط ، وإنَّما لكلِّ الأزمان التي ستأتي بعده . لهذا ، أكملَ له دينَ الإسلام وألغى كلَّ الشَّرائع التي قبْله ، وأنزلَ عليه القرآن وألغى كلَّ الكتُب السَّماويَّة التي سَبَقَتْه . فتشريعاتُ الإسلام هي أكملُ الشَّرائع ، والقرآنُ الكريم هو معجزة كلِّ الأزمان .

وعلى هذا ، فلن يقبلَ الله بعد بعثة النَّبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم ، وحتَّى قيام السَّاعة ، غير الإسلام دينًا والقرآن منهاجًا .

ولتوضيح هذا الأمر ، لنأخذْ مثالاً ممَّا هو معمولٌ به في مختلف البلدان : المعروف أنَّ إدارة التَّعليم تقوم كلُّ بضع سنوات بإدخال بعض التَّعديلات على البرامج الدِّراسيَّة ،

آخذةً بعَيْن الاعتبار اكتشافات علميّة جديدة أو طُرُق تعليم حديثة ، لتكُون البرامجُ الجديدة أكْثَر ملاءمة لاحتياجات الجيل الجديد من الطَّلَبة والمدرّسين .

وبالطَّبع ، يصدر على إثر ذلك كتابٌ جديد خاصّ بالمادّة المنَقّحة ، ويُلْغَى العملُ بالكتاب القديم . وفي العادة ، يتفهّمُ كلُّ الأطراف هذا التّجديد لأنّ الغرض منه هو مصلحتهم جميعًا .

ولو نظرْنَا في كلّ الميادين تقريبًا ، لَوَجدنا أنّ القوانين تُنَقّح ، والأوراق النّقديّة تُبدّل ، فيُلْغَى العملُ بالنّظام القديم ويحلُّ محلّه النّظامُ الجديد . وحتّى إن وُجد بعضُ المعارضين فإنّهم لا يعارضون التّجديد إطلاقًا ، وإنّما نجد لهم بعض الاعتراضات على القانون الجديد ، لأنه ليس بالضّبط كما أرادوه أن يكون .

هذا تقريبًا ما فعله الخالقُ سبحانه مع خلْقه ، ولله المثلُ الأعلى . فقد اختار الإسلامَ دينًا لكُلّ البشريّة منذ بداية الخليقة ، ثمّ سَنَّ لكُلّ نبيّ جديد تشريعات جديدة تُناسبُ المجتمع الذي بعثه إليه ، وربّما أنزلَ عليه كتابًا جديدًا . فلمّا

بعث محمدًا صلّى الله عليه وسلّم خاتمًا لكلّ الأنبياء ، أكملَ له الدّين ، يقول تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٥- المائدة ٣) . وببعْثة محمَّد صلّى الله عليه وسلّم ، ألْغى الله تعالى العملَ بالتّشريعات التي قبْله وبالكُتب التي قبله . فلَنْ يقبلَ بعد ذلك ، وحتّى قيام السّاعة ، غيْرَ الإسلام الذي أكملَه لمحمَّد ، ولن يقبل غيْرَ القرآن الذي أنزله على محمَّد . وهذا بنَصّ القرآن : يقول الله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ (٣- آل عمران ٨٣-٨٥) .

الآية ٨٥ إذًا واضحة وصريحة : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

طبعًا ، اليهودُ الذين عاشُوا من زَمن موسى عليه السّلام إلى قبل مجيء عيسى عليه السّلام ، والمسيحيّون الذين عاشُوا من زَمن عيسى عليه السّلام إلى قبل مجيء محمَّد صلّى الله عليه وسلّم ، وكلُّ مَن تبع نبيٍّ زمانه قبل أن يأتيه نبيٌّ آخر ، كلّ هؤلاء ، إذا اتّبعُوا نَبيَّهُم واستقامُوا على شريعته ولَم يُحرّفُوا بعده شيئًا ، فإنّهم يُعتبَرُون مسلمين وماتوا على الإسلام ، وإن شاء الله يدخلُوا جنّة الرَّحمن . يقولُ الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٢- البقرة ٦٢) . فاليهُود والنّصارى والصّابئين (يُقال أنّهم أتباعُ النّبيّ إدريس عليه السّلام) المذكُورون في هذه الآية ، هم فقط الذين عاشُوا قبل نُبوّة محمَّد صلّى الله عليه وسلّم . لأنّ القرآن لا يُناقض نفسه .

أمّا بعد نُبوّة محمَّد صلّى الله عليه وسلّم وحتّى قيام السّاعة ، فلَن يقبل الله غير الإسلام الذي أكملَه محمَّد .

وكلُّ مَنْ بلَغَتْه دعوةُ الإسلام ، من مسيحيّين ويهود وغيرهم ، من بَعد نُبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وحتّى قيام السّاعة فلم يقبلْها ومات على ذلك ، سيُحرَم من دخول الجنّة ومن رؤية الله عزّ وجلّ ، وسيكون مصيرُه إلى النّار خالداً فيها ! هذا ما ذكَره القرآن : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

هل يقبلُ الله عُذرَ مَن ماتَ على غير الإسلام ؟

أمّا مَنْ ماتَ على غير دين ، فماذا سيكون عُذْره عندما يقف أمام الله يوم الحساب ، بعد أن عاش طول حياته يَمشي في أرضه ويأكل من رزقه ويتنعَّم بنعَمه التي لا تُحصَى ، من هواء وسمع وبَصر ونُطق وغير ذلك ، دون أن يَجد إلزامًا على نفسه أن يبحث عن هذا الخالق ليَشكُره ؟!

ألا يُعتبر هذا مُنتهى الجحود وسوء الخُلق ؟! هل تقبلُ أنت أن تُقدِّم خدْمةً لأحد مَا ، ثمَّ عوَض أن يشكُرك ، يُقابلك بالنُّكْران والإساءة ، أو يُعرض عنك ويشكر أحدًا غيرك ؟! هل من المعقول أن يعيش الإنسان طيلة حياته يعملُ

ويأكلُ وينـام ويلهُو ، دون أن يَجـد الوقت لكـي يبحثَ عمَّن خلَقَه ؟!

لا ، غيـر معقول ! وليـس لهؤلاء أيَّ عـذر إذا ماتُـوا على كُفرهم .

وأمَّا مَنْ مـات مسيحيًا أو يهـوديًا ، بعد نُبُوَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم ، أو كـان يعبدُ شيئًا آخـر غير الله ، فأين كان عقلُه ومنـطقُه ؟! ولماذا لـم يبحث في حيـاته عن الـدِّين الحقِّ كما كان يبحثُ عن الطَّعام والرِّزق ؟! وهل يُعقَل أنَّه لم يسمع طول حياته بالإسلام ؟!

إنَّ وسـائل الإعلام تَملأ كلَّ الـدُّنيا في عصـرنـا هـذا ، وأغلـب الظَّنِّ أنَّ كلَّ النَّـاس تقريبًـا سمعوا بـالإسـلام . لكنَّ أكثر هؤلاء لم يُكلِّفُوا أنفسهم عناء التَّعرُّف عليه ، على الأقلِّ للتَّثبُّت من مـدى صحَّة معتقداتهم . ولـو اطَّلَعوا على القرآن الكريم بلُغَته العـربيَّة ، أو ترجـمة معانيه بـاللُّغات الأخرى ، لَكَفاهم ذلك للوصول إلى الحقيـقة .

ووالله الـذي لا إله غيرُه ، لـو أنَّ أيَّ إنسان بَـحثَ بصدق عن الدِّين الحقِّ ، لَهَداه الله تعالى إليه ، بعدله ورحمته .

ليس لهؤلاء إذًا أيّ عذر أمام الله يوم القيامة .

وهنا لا بُدَّ من ملاحظة شيء هامّ : إنَّ مجرَّد القول بأنَّ محمَّدًا نبيٌّ مثل إبراهيم وموسى وعيسى ، وأنَّ الإسلام دينٌ مثل اليهوديَّة والمسيحيَّة ، هذا القول لا يُنجي صاحبه من الخلود في النَّار يوم القيامة ، إذا لم يدخل هذا الشَّخصُ فعْلاً في الإسلام وينطق بالشَّهادتين .

وأمَّا مَن لم تبلُغه دعوةُ الإسلام أو وَصلَتْه بصورة مُشَوَّهة ، أو الذي مات صغيرًا من أبناء الكفَّار ، أو المجنون ، أو غير ذلك من الحالات الخاصَّة ، فإنَّ أمْرَهُم إلى الله يوم القيامة ، يَحكُم فيهم بما يشاء . وعلى كلّ حال ، فالمؤكَّد أنَّ الله تعالى لن يُعاملَهم مثل معاملَته لمَن بلَغَتْهُ دعوةُ الإسلام فأعرضَ عنها ، لأنَّ الله لا يظلم أحدًا من خلقه . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ (١٠- يونس ٤٤) .

ما مصير الذي سخَّر حياته لفعل الخير ؟!

أليسَ من الظُّلم أن يُعذّبه الله بالخلود في النّار إذا مات على غير الإسلام ؟!

قبل الإجابة على هذا السُّؤال ، لنَستمعْ لهذا الحديث الذي رواه ابن حبّان في صحيحه عن الأسود بن سريع رضي الله عنه ، قال : قال النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : أربعةٌ يَحتجُّون يومَ القيامة : رجلٌ أصَمّ ، ورجلٌ أحمق ، ورجلٌ هرم ، ورجلٌ مات في الفترة . فأمَّا الأصمّ فيقول : يا ربّ ، لقد جاء الإسلام وما أسمعُ شيئًا . وأمَّا الأحمقُ فيقول : ربّ ، قد جاء الإسلامُ والصّبْيانُ يَحْذفُونَني بالبَعر . وأمّا

الهرم فيقول : ربِّ ، لقد جاء الإسلامُ وما أعْقل . وأمَّا الذي مات في الفترة فيقول : ربِّ ، ما أتاني لك (أي منك) رسول . فيأخُذُ مَواثيقَهم لَيُطيعُنَّه ، فيُرسلُ إليهم رسولاً أن ادخُلُوا النَّار . قال : فوَالذي نَفْسي بيَده ، لو دَخلُوها كانت (أي لَكانَتْ) عليهم بَرْدًا وسلامًا . (صحيح ابن حبّان - الجزء ١٦ - ص ٣٥٦ - رقم الحديث ٧٣٥٧) .

وروى أبو يعلى في مُسنَده عن أنَس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : يُؤتَى بأربعة يومَ القيامة : بالمولود ، وبالمعتُوه ، وبمَنْ ماتَ في الفترة ، والشَّيخ الفاني ، كلُّهم يتكلَّم بحُجَّته . فيقولُ الربُّ تباركَ وتعالى لعُنق من النَّار : ابرُزْ . ويقول لهم : إنِّي كنتُ أبعثُ إلى عبادي رُسُلاً من أنفُسهم ، وإنِّي رسولُ نَفْسي إليكُم ، ادخُلُوا هذه (أي هذه النَّار) ! فيقولُ مَنْ كُتبَ عليه الشَّقاء : يا ربِّ ، أنَّى ندْخُلها ومنْها كُنَّا نَفرّ ؟!

ومَنْ كُتبَتْ عليه السَّعادة يَمضي ، فيَقْتحمْ فيها مُسرعًا .

فيقولُ الله تبارك وتعالى (لِمَنْ رَفضُوا دخول النَّار) : أنْتُم لرُسُلي أشدّ تكذيبًا ومَعْصية .

فـيدخُلُ هـؤلاء الجنّـة (أي مَن أطـاع واقتحم في الـنّار) ، وهؤلاء النّار (أي مَن عَصَى) . (مسند أبي يعلى - الجزء ٧ - ص ٢٢٥ - رقم الحديث ٤٢٢٤) .

فمنْ عَدْل الله إذًا ورحـمته أنّه لا يُعذّبُ أحـدًا من عباده حتّى يُقيم عليه الحُجَّة ، إمّا في الـدُّنيا أو في الآخرة ! والذين ماتُوا قَبْلَ أن تـبلُغهم فعْـلاً دعْوةُ الإسلام ، سَـيُمتَحـنون في الآخرة كما امتُحنَ غيرُهم في الدُّنيا . فمَنْ أطاع كان من أهل الجنَّة ، ومَن عصَى دخلَ النّار خالدًا فيها .

أليسَ هذا مُنتهَى العدل ؟!

وأمّـا مَنْ بلَغَتْه دعـوةُ الإسلام فأعـرض عنها وأصـرَّ على البقاء على المسيحيّة أو الـيهوديّة أو الإلحاد أو غير ذلك ، فهو الذي ظلَم نفسَـه في هذه الحالـة لأنّه عانَد وتكـبَّر ، وسيكون مصيره بلا شكّ : الخلود في جهنّم .

وبِمَا أنَّ الله أكْرم وأعـدل من أن يظلم مثـقال ذرَّة من خير عملَه عبـدٌ من عبـاده . فكُلُّ مَـا يَفعلُه الـكافـرُ من خـير ، يُجازيه اللهُ تعالى عليه إمّا في الدُّنيا أو في الآخرة أو في الاثنين معًا .

أمّا في الدُّنيا ، فَيُوَسّع عليه في الرّزق ، أو يَصرف عنه بعض المصائب ، أو يُعطيه من الخير ما تمنّى ، أو غير ذلك .

وأمّا في الآخرة ، فيُخفَّفُ عنه العذاب . فالنّارُ دركات ، والجنَّة درجات . يقول الله تعالى مثلاً في منزلة المنافقين : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (٤- النّساء ١٤٥) .

لا يَضيعُ إذًا أيُّ شيء في ميزان الله ، سواء كان العبدُ مسلمًا أو كافرًا . يقول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (٩٩- الزّلزلة ٧-٨) .

فهل هناك أعدل من الله ؟!

إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به

ربّما تقول يا أخي الكريم : ولكنّ المسيحيّين واليهود يعبدون الله ، فلماذا يكون مصيرُهم إلى النّار خالدين فيها مثل الملحدين والظّالمين والقَتَلَة ؟!

استمعْ إذًا لِمَا يلي : يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (٤- النّساء ٤٨) .

فأعظمُ الذّنوب عند الله : أن يُشرَكَ في عبادته شيءٌ آخر . والمسيحيّون أشركُوا مع عبادة الله : عبادتهُم للمسيح عليه السّلام ، وادّعاءهم أنّه ابنُ الله . بينما اليهود ادَّعَوْا من قبلُ أنَّ العُزَيرَ ابنُ الله ، ثمّ نسبُوا إلى الله سبحانه نَقائص لا

تليقُ بكَمَاله ، واتّهمُوا أنبياءه بالزّنا وشرب الخمر وسفك الدّماء ! وسنرى أمثلة لذلك في عنصر قادم .

فأيُّ ظُلم أكبر من هذا ؟! يقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ ﴾ (٩- التّوبة ٣٠-٣١) .

فهل تقبلُ أنتَ أن يرزقك الله بأطفال ، فتنفق عليهم حتّى يكْبروا ، وتُوَفّر لهم كلّ ما يحتاجوه من مأكل وملبس ورعاية ، ثمّ بعد ذلك يشتموك ، أو يَنْسبُوا الفضلَ في ما وصلُوا إليه إلى شخص آخر غيرك ؟!

طبعًا لا تَقْبل ! فكيف تريدُ إذًا من الخالق سُبحانه أن يقبل أن ينتقص اليهودُ من صفاته بعد أن عَرفوها ، وأن يستهزئوا بأنبيائه ويُحرّفُوا توراته ؟! وكيف تريده أن يقبل أن ينسب إليه المسيحيّون ابنًا ، ثمّ يعبُدوا الابن المزعوم وينسبُوا

إليه كلُّ الفَضل ، ويتركُوا الخالق ؟!

أليس هذا مُنتهى الظُّلم ؟!

وقد روى الطَّبراني في مسند الشَّاميِّين عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : قال الله عزَّ وجلَّ : إنِّي والجنَّ والإنس في نَبَأٍ عظيم ، أخلُقُ ويُعْبَدُ غَيْري ، وأرزُقُ ويُشْكَرُ غَيْري ! (مسند الشَّاميِّين - الجزء ٢ - ص ٩٣ - رقم الحديث ٩٧٤) .

هل يُعقَل أن يدخل رجال الدِّيانات الأخرى إلى النّار ؟!

هل يُعقَل أن يدخل رجالُ الكنيسة ، وأحبارُ اليهود ، وغيرهم من زعماء الدّيانات الأخرى ، إلى النّار ؟!

نعم ، وكُلُّ مَن بَلَغَتْه دعْوَةُ الإسلام ، بعد بعْثة النَّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يقبَلْها ، فهو كافر ، ومصيرُه جهنّم خالداً فيها إذا مات على تلك الحال .

بل إنَّ موقفَ زُعماء الدّيانات الأخرى سيكون أصعب يوم القيامة من أتباعهم من عامَّة النَّاس ، لأنَّ مركَزَهم يقتضي أن يكون عندهم علْمٌ أكثر من غيرهم ، سواء بديانتهم أو بالدّيانات الأخرى ، وبالتّالي كان عليهم أن يتثبَّتُوا من صحَّة

معتقداتهم ، وإذا عرفُوا الحقَّ ، ألاَّ يُصرُّوا على الباطل .

لكنَّ المدهش حقًا أنَّ أغلب هؤلاء سمعوا فعلاً بما يقوله القرآن بخصوص حقيقة المسيح عليه السَّلام خاصَّةً ، وحقيقة الأنبياء والرُّسُل عامَّةً ، وصفات الله تعالى ، وأنَّ الله لن يقبل غير الإسلام ، وأنَّ كلَّ من يموتُ على غير هذا الدِّين سيكون جزاءه جهنَّم خالدًا فيها ، لكنَّهم عوَضَ أن يتَّبعُوا الحقَّ الذي جاءهم ، أعرضُوا وراحُوا يُحاولُون عبثًا أن يجدُوا تبريرات يستطيعون بها الرَّدَّ على تساؤلات أتباعهم العديدة ، دون جدوى ! فماذا ستكون حُجَّتُهم أمام الله عندما يَسألُهم يوم القيامة لماذا أصرُّوا على معتقداتهم الخاطئة ولم يُسلمُوا ، فضَلُّوا وأضَلُّوا غَيْرَهم ؟!

أمَّا أتباعُهم من عامَّة النَّاس ، فإذا أصرُّوا على اتِّباعهم دون تفكير ، فاستمعْ لما يقوله القرآنُ فيهم وفي أمثالهم : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا

سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ (٣٣- الأحزاب ٦٤-٦٨) .

والسّاداتُ والكُبراء هنا هم رجالُ الدّيانات الأخرى غير الإسلام ، وأيضًا كلَّ مَن يستغلَّ سُلطَته أو شُهرته أو مالَه ليُضلَّ غيره عن طريق الله .

أمّا أتباعُهم ، فسَوْفَ يَعضُّون أصابعَهم يوم القيامة من النَّدَم أنّهم لم يتّبعُوا الأنبياء ، ثمُّ لن يَملكُوا إلاّ أن يَدْعُوا اللهَ أن يُؤتي كُبَراءَهم ضعفَيْن من العذاب بسبب إضلالهم لهم .

الفصل الثّاني
اليهوديّة والمسيحيّة في ميزان العقل والمنطق !

ما يجب معرفته بخصوص التّوراة والإنجيل

ذكَر الله تعالى في القرآن الكريم أنّه أنزل التّوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السّلام ، وأنّه أوْكَلَ إلى أتباعهما حفْظَ الكتابَيْن من أن تقع فيهما زيادة أو نقص أو تحريف .

يقول تعالى بخصوص التّوراة : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٥- المائدة ٤٤) .

فالله تعالى جعلَ إذًا الأحبارَ حَفَظَةً على التَّوراة . لكنَّهم لم يُحافظوا عليها ، وحرَّفُوها وبدَّلُوا فيها حَسْبَ أهوائهم ، فأصبحتْ خليطًا من حَقٍّ وباطل . ففضَحهم الله تعالى بقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٢- البقرة ٧٩) .

وقال تعالى عنهم : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٣- آل عمران ٧٨) .

وقال : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٢- البقرة ٧٥) .

وتتكوَّن التَّوراة التي ينسُبها اليهودُ إلى موسى عليه السَّلام من خمسة أسفار ، هي : سِفْر التَّكوين ، وسِفْر الخروج ،

وسِفْر اللاّويّين ، وسِفْر العدد ، وسِفْر التّثنية .

ولكن هناك أيضًا أسفارٌ أخرى ينسبُها اليهود إلى أنبياء بني إسرائيل :

- منها أسفار تاريخيّة ، وعددُها اثنَا عشر ، وهي : سفْر يشوع ، سفْر القضاة ، سفْر راعوث ، سفْر صموئيل الأوّل ، سفْر صموئيل الثّاني ، سفْر الملوك الأوّل ، سفْر الملوك الثّاني ، سفْر أخبار الأيّام الأوّل ، سفْر أخبار الأيّام الثّاني ، سفْر عزرا ، سفْر نحميا ، سفْر أستير .

- ومنها أسفار الشّعر والحكمة ، وتُنسَبُ أغلبُها إلى داوُد وسليمان عليهما السّلام ، وعددها خمسة ، وهي : سفْر أيوب ، سفْر المزامير ، سفْر الأمثال ، سفْر الجامعة ، سفْر نشيد الإنشاد .

- ومنها الأسفار النّبويّة ، وعددها سبعة عشر ، وهي : سفْر أشعياء ، سفر أرمياء ، سفْر مراثي أرمياء ، سفْر حزقيال ، سفْر دانيال ، سفْر هوشع ، سفْر يوئيل ، سفْر عاموس ، سفْر عوبديا ، سفْر يونان ، سفْر ميخا ، سفْر ناحوم ، سفْر حبقوق ، سفْر صفنيا ، سفْر حجي ، سفْر

زكريَّا ، سفر ملاخي .

هـذا بخصوص التَّوراة . أمَّا عن الإنجيل ، فيقول تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٥- المائدة ٤٦) .

ويُصـرّح الله تعالى في آية أخرى أنَّ مجيء النَّبيّ محمَّد صلّى الله عليه وسلّم مذكُورٌ في التَّوراة التي أُنزلتْ على موسى وفي الإنجيل الذي أُنزل على عيسى ، عليهما السَّلام ، فيقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٧- الأعراف ١٥٧) .

فـالرَّسـولُ النَّبيُّ الأُمّيُّ المـذكور هنـا هو محمَّـد صلّى الله

عليه وسلَّم . وحتَّى لا يترُكَ اللهُ تعالى لنا مجالاً للشَّكّ في هذا الأمر ، ذكَر في آية أخرى أنَّ عيسى عليه السَّلام بَشَّرَ أتباعَه أنَّه سيأتي من بعده نبيٌّ يُسمَّى أحمد (وهو محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم) . يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ (٦١- الصفّ ٦) .

لكنَّ المسيحيِّين لم يتحدَّثوا أبدًا بهذه البشارة ، وعندما جاء النَّبيُّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم كَفَرُوا بنُبُوَّته ! وإذا كان أحبارُ اليهود قد حرَّفُوا توراة نبيِّهم ، فإنَّ المسيحيِّين أضاعُوا الإنجيل الذي أُنزلَ على عيسى عليه السَّلام ، ثمَّ كتبُوا من عندهم كُتُبًا عديدة أسْمَوْها أناجيل ، وضمَّنُوها عقائد مُحرَّفَة بعيدة كُلَّ البُعد عن شريعة عيسى عليه السَّلام ! بل ووصل بهم الأمر أن ادَّعَوْا أنَّ عيسى ابنُ الله ، تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا !

فردَّ الله تعالى على ادِّعائهم هذا ردًّا عنيفًا في مواضع

عديدة من القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٩- التّوبة ٣٠-٣١) .

هذا إذًا بعض ما ذكَره القرآنُ عن التّوراة والإنجيل .

أمّا الباحثون في تاريخ الدّيانات ، فيقولون أنّ التّوراة الأصليّة التي أُنزلتْ على موسى عليه السّلام أُتلفت بعد موته ، خلال حرُوب بني إسرائيل مع بعض الملوك الطُّغاة أمثال بُخْتنصر سنة ٥٨٦ قبل ميلاد المسيح . فحاولوا فيما بعدُ كتابتَها من جديد بالاعتماد على ذاكرتهم . فخلَطوا فيها كثيرًا من المعتقدات البعيدة عن شريعة نبيّهم !

والتّوراةُ الموجودة عند اليهود اليوم منقولة عن مخطوطات مختلفة كَتَبَها كُتّاب مختلفون ، ليس في حياة موسى عليه السّلام . وإنّما بعد وفاته بأكثر من خمسة عشر قرنًا فقط !

فهي إذًا ، بشهادة المؤرّخين ، ليست التّوراة الأصليّة .

وبالنّسبة للإنجيل الذي أُنزلَ على عيسى عليه السّلام المذكُور في القرآن الكريم ، فلَم يَجد المؤرّخون له أثَرًا ! ولكنّ الذي ثَبتَ لَدَيْهم أنّ بعضَ تلاميذ عيسَى ، وبعضَ مَن جاء بعدَهم ، كتَب كلّ واحد منهم كتابًا عن سيرة هذا النّبيّ الكريم وأقواله وتعاليمه ، ولم يَقصد أبدًا من كتابته أن تُصبح مقدّسة . فكانت هذه الكُتب تُسَمّى : موعظة ، ثمّ أُطلقَ عليها اسم : مذكّرات الرُّسُل ، وذلك حوالَيْ سنة ١٥٠ م ، ثمّ سُمّيَت : أناجيل ، وذلك عندما شعُرت الكنيسة بضَرورة أن يكون لديها أسفارٌ مُقَدّسة مثل التي عند اليهُود ! ثمّ بدأت الخلافات بين الكنائس في اختيار الأناجيل التي يُمكنُ اعتمادها ، وفي ترتيبها في الكتاب المقدّس !

وفي سنة ٣٢٥ م ، عُقد أوّل مجمع للكنائس بطَلب من إمبراطور روما قسطنطين الأوّل ، وكان الهدف منه الفصل في الخلاف الحاصل حول حقيقة عيسى عليه السّلام . وانفضّ المجمع بإقرار أنّ عيسى ابنُ الله ! وتَمّ اختيار أربعة أناجيل فقط من بين حوالي سبعين إنجيلاً ! وهذه الأناجيل الأربعة هي

المعتَمَدة اليوم عند مختلف فِرَق المسيحيّين ، وهي : إنجيل متى ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنّا .

ومَنْ تأمَّل فيها ، وجدَ بينها اختلافات جوهريَّة كثيرة ، وهذا باعتراف المسيحيّين أنفُسهم ! ويمكن الرُّجوع في هذا الأمر إلى أيّة موسوعة غربيَّة عن الدّيانات .

ويُضيف المسلمون أنَّ هذه الأناجيل ليس هناك ما يُثبتُ صحَّة نسبتها إلى أصحابها ، وأنّها ليست مقدَّسة لأنّها عملٌ بَشَري ، وأنَّ فيها أقاويل مغلوطة لا يمكن أبدًا نسْبَتها إلى الله تعالى ولا إلى نبيّه الكريم عيسى عليه السّلام . وسنذكر في العناصر الموالية أمثلة عن ذلك ، وسنذكر أيضًا أمثلة عن التّحريفات الموجودة في توراة اليهود .

ثمَّ إنَّ أيَّ باحث عن الحقيقة بإخلاص يستطيع بفطرته السّليمة وبعقله أن يتفطّن من خلال قراءته لهذه الكتب ، إلى أنَّ فيها أقاويل لا يمكن أن تصدر عن خالق هذا الكون أو عن أحد أنبيائه الكرام .

بعض الأدلّة على تحريف التّوراة

جاء في سفر التّكوين : وصَعدَ لُوط من صُوغَر ، وسكنَ في الجبَل وابْنَتاه معه لأنّه خافَ أن يسكُنَ في صُوغَر . فسكنَ في المغَارة هو وابنتاهُ . وقالت البكْرُ للصّغيرة : أبُونا قد شاخَ وليسَ في الأرض رجلٌ ليَدخُلَ علينا كعادة كلّ الأرض . هلُمّ نَسقي أبانَا خَمْرًا ونَضطجع معه فَنُحْيي منْ أبينَا نَسْلاً . فَسَقَتَا أبَاهُما خَمْرًا في تلكَ اللّيلة ، ودخلَت البكْرُ واضْطَجَعَتْ مع أبيها ولَمْ يَعْلَمْ باضْطجاعها ولا بقيّامها . وحدثَ في الغَد أنّ البكْرَ قالتْ للصّغيرة : إنّي قد اضْطَجَعتُ البارحة مع أبي . نسْقيه خَمْرًا اللّيلَة أيضًا ، فادْخُلي اضْطَجعي معه فَنُحْيي منْ أبينَا نَسْلاً . فَسَقَتَا أباهُما خَمْرًا في تلكَ اللّيْلَة أيضًا ، وقامت الصّغيرة واضْطَجعتْ معه ولَم

يَعْلَم باضْطجاعها ولا بقيَامها . فحَبلَت ابْنَتَا لُوط منْ أبيهما . فولَدَت البكْرُ ابْنًا ودَعَت اسْمَهُ مُوآب ، وهو أبُو الموآبيّين إلى اليَوم . والصّغيرةُ أيضًا ولَدَت ابْنًا ودَعَت اسْمَهُ بنْ عَمّي ، وهو أبُو بَني عَمُّونَ إلى اليَوم . (سفْر التّكوين - الإصحاح التّاسع عشر ٣٠-٣٧) .

سُبحان الله ! هل تُصدّق يا أخي الكريم أنَّ النّبيَّ لوطًا عليه السّلام الطّاهر العفيف ، يشربُ خمرًا ثمَّ يزني بابْنَتَيه ، فيُنجبان له ولَدين ، ثمَّ يفضحُ اللهُ تعالى نبيَّه هذا في التّوراة المقدّسة ؟!

والله إنَّ هذا لكذبٌ وافتراءٌ على الله تعالى وعلى نبيّه الكريم . ويكفي لوطًا فخرًا أنَّ الله شهد له في القرآن بأنّه كان من الصّالحين ، يقول تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٢١- الأنبياء ٧٤-٧٥) .

وجاء في سفْر التّكوين أيضًا : وابتدأ نُوح يكونُ فلاّحًا وغرسَ كَرْمًا . وشربَ من الخمْر فسَكرَ وتعرّى داخلَ خبائه .

فأبصرَ حامٌ أبـو كَنْعان عَوْرةَ أبيه وأخبرَ أخـوَيْه خارجًا . فأخذَ سامٌ ويافثُ الـرِّداء ووضعاهُ على أكتافهمـا ، ومَشَيَا إلى الوراء وستَرَا عـوْرةَ أبيهما ووجهـاهُما إلـى الوراء ، فلم يُبـصرا عوْرةَ أبيهـما . فلمّـا استيقـظَ نوحٌ من خَمره علمَ مـا فعلَ به ابنهُ الصَّغير . فقالَ : مَلعونٌ كَنعانُ ، عبدُ العبيد يكونُ لإخوته . وقال : مُبـاركٌ الرَّبُّ إلهُ سام ، ولْيَكُنْ كنعانُ عبدًا له . (سفر التَّكوين - الإصحاح التَّاسع ٢٠-٢٦) .

فهـل يُعقل أن يَشرب نـوحٌ عليه السَّلام الخمـر ويتعرَّى ، ثمَّ يفيق ويعلم بِمَا فعل ابنُه حام ، فيصُبّ غضبه على كنعان (ابن حام) ، الذي ليس له أيّة علاقة بالأمر ؟!!

والله إنَّ هذا لَكذبٌ وافتراء على النَّبيِّ الطَّاهر العفيف نوح عليه السَّلام ! وأين هـذا من تكريم الله له في الـقرآن العظيم ، حيث يقـول تعالـى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣٧- الصّافّات ٧٥-٨٢) .

وجاء في سفر التّكوين أيضًا : وفرغَ الله في اليوم السّابع من عَمَله الذي عَمل . فاستراح في اليوم السّابع من جميع عَمَله الذي عَمل . وباركَ الله اليومَ السّابع وقدّسهُ لأنّه فيه استراح من جميع عَمَله الذي عمل الله خالقًا . (سفر التّكوين - الإصحاح الثّاني ٢-٤) .

فهل يُعقَل أنّ خالق هذا الكون بما فيه ، يتعبُ مثل البشَر ويحتاج مثلهم إلى الرّاحة بعد ستّة أيّام من العمل المتواصل ؟!! أبدًا ، لا يُعقل !

وجاء في سفر التّكوين أيضًا : ورأى الرّبُّ أنَّ شَرَّ الإنسان قد كثُر في الأرض ، وأنَّ كلَّ تَصَوُّر أفكار قَلبه إنّما هو شرّيرٌ كلَّ يوم . فحزنَ الرّبُّ أنّه عملَ الإنسانَ في الأرض وتأسّف في قلبه . فقال الرّبُّ : أمْحُو عن وجه الأرض الإنسانَ الذي خَلَقْتُه : الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السّماء لأنّي حزنتُ أنّي عملْتُهم . (سفر التّكوين - الإصحاح السّادس ٥-٧) .

فهل يُعقَل أنَّ خالق هذا الكون بما فيه ، والعليم بما كان وما سيكون ، يحزن ويتأسَّف ويندم أنّه خلق الإنسان ، ثمَّ يُقرّر مَحوه عن وجه الأرض ؟!! أبدًا ، لا يُعقل !

وجاء في سفْر الخروج : وقالَ الرَّبُّ لموسَى : رأيتُ هذا الشَّعبَ وإذا هو شعبٌ صُلبُ الرَّقَبة . فالآن اتْرُكني ليَحمَى غضَبي عليهم وأُفنيهم فأصيِّرَك شعبًا عظيمًا . فتضرَّع موسَى أمام الرَّبّ إلَهه ، وقال : لماذا يا رَبّ يَحْمَى غَضَبُكَ على شعبكَ الذي أخرجْتَهُ من أرض مصر بقُوَّة عظيمة ويَد شديدة ؟ لماذا يَتكلَّمُ المصريُّون قائلين : أخرجَهُم بخُبْث ليَقتُلَهم في الجبال ويُفنيهم عن وجه الأرض ؟ ارجعْ عن حُمُوّ غَضَبك واندَم على الشَّرّ بشَعبك . واذكُرْ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيل عبيدَك الذين حلفْتَ لهم بنَفْسكَ وقلتَ لهم أُكثّرُ نسلَكُم كنُجُوم السَّماء وأعطي نسلَكُم كلَّ هذه الأرض التي تكلَّمتُ عنها فيَملكُونَها إلى الأبَد . فندمَ الرَّبُّ على الشَّرّ الذي قال إنَّه يَفعلُه بشَعْبه . (سفر الخروج - الإصحاح الثّاني والثّلاثون ٩-١٤) .

فهل يُعقل أنَّ الله الحكيم العليم فكَّر في فعل شيء ،

فوَعظهُ موسَى وطلب منه العدول عن ذلك ، فاتَّعظ اللهُ وندم على ما كان سيفعلُه ؟!!

بل ، هل يُعقل أن يَنسبَ اللهُ تعالى إلى نفسه كلَّ هذه النَّقائص ، ثمَّ يُنزلها في توراته المقدَّسة لكي يقرأها موسى على بني إسرائيل ، ثمَّ تتناقلُها الأجيالُ من بعده ؟!!

طبعًا لا يُعقل ! ومع ذلك فإنَّ اليهود اليوم يقرأون هذه الأكاذيب ، ويُصرُّون على أنَّها كلام الله !!

وجاء في سفر ميخا أنَّ الله تعالى قال عن نفسه : من أجل ذلكَ أنوحُ وأولولُ ، أمشي حافيًا وعريانًا ، أصنعُ نَحيبًا كبنات آوى ، ونَوحًا كرعال النَّعام . (سفر ميخا - الإصحاح الأوّل ٨) .

وجاء في سفر المزامير : فاستيقظَ الرَّبُّ كَنائم ، كجبَّار مُعَيَّط من الخمْر ، فضربَ أعْداءَه إلى الوراء ، جعلَهم عارًا أبديًّا . (سفر المزامير - المزمور الثَّامن والسَّبعون ٦٥) .

فهل يُعقل أن يُوصَف خالقُ السَّماوات والأرض وكلَّ شيء في هذا الكون ، بأنَّه يَنوح ويُولْولُ ويمشي حافيًا وعريانًا ويستيقظ مثل المخمور ؟!! تعالى الله عن قول الظَّالمين عُلُوًّا

كبيراً !!

وبالإضافة إلى الافتراءات على الله تعالى وعلى أنبيائه الكرام ، فقد تضمَّنت هذه الأسفار أيضًا قصصًا جنسيَّة يندَى لها جبينُ الحياء خجلاً !! ووالله إنَّ أيَّ إنسان عاقل لَيستطيع فقط بمجرَّد قراءتها أن يتيقَّن أنَّها يستحيلُ أن تكون نصوصًا مُقدَّسة ، وأنَّ مكانها الحقيقي هو . . كتُب الجنس !! وسأنقلُ لك يا أخي مثالاً واحدًا فقط ، وأرجو المعذرة لقُبح ما ستقرأه ، ولولا اضطراري للاستشهاد به لَما سمحتُ لنَفسي أن أنقله في هذا الكتاب :

جاء في سفر نشيد الإنشاد المنسُوب إلى النَّبيِّ سُلَيْمان عليه السَّلام : ما أجملَ رجْلَيْك بالنَّعلَيْن يا بنتَ الكريم ، دوائرُ فَخذَيْك مثل الحليَّ صَنْعَة يَدَيْ صنَّاع ، سُرَّتك كأسٌ مُدَوَّرة لا يُعْوزُها شرابٌ ممزوجٌ . بَطْنُك صُبرةُ حنطَة مُسَيَّجة بالسُّوسن . ثَدْيَاك كَخشْفَتَيْن تَوْأَمَيْ ظَبْيَة . . . (سفر نشيد الإنشاد - الإصحاح السَّابع ١-٤) .

فهل يُعقَل أن تأتي هذه الجُمل القذرة من الله سُبحانه وتعالى ؟!! أبدًا ، لا يُعقَل !

وهل يجرؤُ رجالُ الدِّين على قراءة هذا الكلام الفاضح في المناسبات الدِّينيَّة ، أمام الرِّجال والنِّساء والأطفال ؟!! طبعًا لا يَجرؤون على فعل ذلك !

وبالإضافة إلى هذا ، فقد تضمَّنت الأسفار التي ينسبُها اليهود إلى أنبيائهم خرافات لا يُصدِّقها عاقل ! من ذلك ما جاء في سفْر القضاة عن بطولات شمشون الجبَّار : وذهبَ شَمشون وأمسكَ ثلاث مائة ابن آوَى ، وأخذَ مَشاعل وجعلَ ذَنَبًا إلى ذَنَب ، ووضعَ مَشعلاً بين كلِّ ذَنَبَيْن في الوَسَط . ثمَّ أضرمَ المشاعل نارًا وأطلَقها بين زُروع الفلسطينيِّين ، فأحرقَ الأكداسَ والزَّرع وكُرُوم الزَّيتون . (سفر القضاة - الإصحاح الخامس عشر ٥-٦) .

فكيف جمعَ شمشون هذه الثَّعالب ، وكيف ربطها ؟!!

ومن ذلك أيضًا : ووجدَ فَكَّ حمار طَريًا فأخذه وضرب به ألفَ رجُل ، فقال شَمشون : بفَكِّ حمار كُومة كُومَتَيْن ، بفَكِّ حمار قتلتُ ألفَ رَجُل . (سفر القضاة - الإصحاح الخامس عشر ١٥-١٦) .

فماذا كان يحدث لو كان فَكُّ الحمار يابسًا وليس طريًا ؟!!

وشبيهًا ببطولات شمشون ، ما جاء في سفر الأيَّام الأوَّل عن البطل يشبعام : وهذا هو عددُ الأبطال الذين لداوُد : يَشْبْعام بن حكْمُوني رئيسُ الثُّوالث ، هو هزَّ رُمْحَه على ثلاث مائة ، قتلَهُم دُفعةً واحدة . (الأيَّام الأوَّل – الإصحاح الحادي عشر ١١) .

فكيف يا تُرى قتلَ ثلاث مائة بضربة واحدة ؟!!

نعم يا أخي الكريم ويا أختي الكريمة ، كلُّ هذا موجود في التَّوراة المحرَّفة ! وبَدلَ أن تَحتوي هذه التَّوراة على نُصوص تحثُّ على فعل الخير والإحسان إلى الغير ، نجدُها بالعكس تَحتوي على نصوص تُثير الغرائز ، وأخرى تُعلِّمنا كيف يقترفُ الأنبياء الفواحش العظيمة ، وأخرى لا يُصدِّقها أيّ عاقل !

والغريب أنَّنا لو بَحثنا في هذه التَّوراة عن ذِكْرٍ ليوم القيامة والحساب والجنَّة والنَّار ، لَما وجدنا فيها أيَّ شيء من ذلك !! فما الهدف إذًا من إرسال الأنبياء إلينا ، وما الفائدة من فعل الخير واجتناب الشَّرّ إذا لم يكُن هناك بعد ذلك حساب وجزاء ؟!!

بقي أن نلاحظ أنَّ أسفار التَّوراة الخمسة والأسفار

التّاريخيّة والأسفار الشّعريّة وأسفار الأنبياء ، لا يُؤمن بها اليهودُ فقط ، وإنّما المسيحيّون أيضًا الذين يعتقدون أنّ أنبياءَ الله هم الذين كَتبُوها بإلهام من روح القدس ! وقد أقرّ مجمع ترنت الكاثوليكي ما بين سنة ١٥٤٥ م وسنة ١٥٦٣ م ، ومجمع بيت المقدس الأرثودوكسي سنة ١٦٧٢ م ، شرعيّة كلّ هذه الأسفار !

معنى هذا أنّ المسيحيّين أيضًا يعتقدون أنّ النّصوص التي ذكَرْناها ، والتي تصف الله تعالى بما لا يليق به ، وتجعل من أنبيائه زُناةً وشاربي خمر وقتَلة ، وتتحدّث عن الجنس القذر ، كلُّها نُصوص مُقدّسة !!

حقيقة المسيحيّة

ذكرنَا أنَّ إبراهيم وموسى وعيسى ومحمَّدًا ، وكلُّ الأنبياء عليهم السَّلام ، دَعَوْا إلى عبادة إله واحد ، وهو الله سبحانه وتعالى ، لا زوجة ولا ولد ولا شريك له ، وإلى اعتناق دين واحد ، وهو الإسلام .

فلمَّا بَعثَ الله تعالى عيسَى عليه السَّلام نبيًا إلى بني إسرائيل ، أيَّده بمعجزات ، مثل إبراء الأكْمَه والأبْرَص وإحياء الموْتَى بإذن الله . فكفر به اليهودُ ولم يُؤمنُوا برسالته ، وحسَدُوه على ما أجْرَى اللهُ على يَدَيْه من معجزات ، وحاولُوا إيذاءه بكلّ ما أمكنَهم . ثمُ سعَوْا إلى مَلك دمشْق في ذلك الزّمان ، وكان مُشركًا من عُبَّاد الكواكب ، وقالُوا له إنَّ في بيت المقدس رجلاً يَفتن النَّاسَ ويُضلُّهم ويُفسد على الملك رعاياه .

فغضبَ ، وكتب إلى واليه ببيْت المقدس أن يقبضَ على عيسى عليه السَّلام ويَصْلبَه ، ويضعَ الشَّوك على رأسه ويكُفَّ أذاه عن النَّاس .

فلمَّا وصَلَهُ الكتاب ، امتثَلَ الوالي لأمر الملك ، وذهبَ هو وطائفة من اليهود إلى البيت الذي كان فيه عيسى عليه السَّلام ، فحاصَرُوه هناك . وكان عيسى في جماعة من أصحابه ، قيل كانُوا اثْنَيْ عَشَرَ نَفَرًا ، وقيل أكثر . فلَمَّا أحَسَّ بِمَنْ حول البيت ، وأنَّه لا مَفَرَّ من دخُولهم عليه أو خروجه إليهم ، قال لأصحابه : أيُّكُم يُلْقَى عليه شَبَهي ، فيُقْتَلُ مكاني ، وهو رفيقي في الجنَّة ؟

فقام شابٌ من أحْدَثهم سنًا ، فكأنَّ عيسى استصْغَره . فأعاد الطَّلبَ ثانية وثالثة ، وفي كلِّ مرَّة يقوم ذلك الشَّابَّ . فقال له : أنتَ هو . وأَلْقَى اللهُ عليه شبهَ عيسى عليه السَّلام حتَّى كأنَّه هو ! ثمَّ فُتحَتْ كُوة في سقف البيت ، وأخذَتْ عيسى عليه السَّلام سِنَةٌ من النَّوم ، فَرُفع إلى السَّماء على هذه الحال ، وكان عُمُره حينئذ ثلاثًا وثلاثين سنة .

وخرجَ أصحابُ عيسى عليه السَّلام من البيت ، فلمَّا رأى

اليهودُ ذلك الشّابَّ ظَنُّوه عيسَى ، فأخذُوه وقتلُوه وصَلَبُوه ووَضَعُوا الشَّوكَ على رأسه زيادةً في إهانته . ثمَّ تبجّحُوا بأنّهم قَتلُوا المسيح عيسى عليه السّلام وصلَبُوه .

وبقي تلاميذ عيسى الذين كانُوا حاضرين معه عندما رفعَه الله إليه ، بَقوا على دينه الحقّ ، يَدعُون إلى ما دعا إليه من عبادة الله وحده ، ويقولون أنَّ المسيح عيسى هو عبدُ الله ورسولُه .

لكنَّ الذين وقعُوا في الخطأ وضَلُّوا ، هم فريقٌ آخر من المسيحيّين أصرُّوا على أنَّ الذي صُلبَ هو المسيح . ولَمَّا لم يجدُوا أيَّ تفسير عقائدي لهذا الصَّلب ، بَحثُوا في الدّيانات الوثنيَّة السَّائدة وَقتها ، فوجدُوا فيها أنَّ الإلهَ يمكن أن يكون له أبناء وزوجة وشُركاء ، وأنّه يمكن أن ينزل إلى الأرض أو يَبعث إليها مَن يَنُوبه ليُحارب الشّرَّ ويُخلّص أتباعه ثمَّ يعود إلى السَّماء ، وأنَّ الآلهة المتعدّدة يُمكن أن تُجمَع في صورة إله واحد ذي عدَّة أقانيم !

ويكفي أن تدرس يا أخي بعض الآلهة ، مثل الفيشنو والكرشنا في الدّيانة الهندوسيَّة ، والبوذا في الدّيانة البوذيَّة ،

وبعل عند البابليّين القُدامى ، لتَجد كلَّ هذه المعتقدات !

فاستوحى المسيحيّون إذًا من هذه الدّيانات عقائد أسموَها بعقائد الفداء والخلاص والتّثليث ، وصاغُوا لها قصّة عجيبة غريبة لا يقبلُها عقلٌ ولا منطق ! يقولون : لَمّا خلق اللهُ أبانا آدم وأسكَنه الجنّة ، أخبرهُ أنّه بإمكانه أن يأكل من جميع ثمارها ، إلاّ من شجرة واحدة حرّمها عليه . فعَصَى آدمُ ربَّه وأكلَ من الشّجرة الممنوعة . فلَم يغفر له الله هذه الخطيئة ، فتوارثَتْها ذُرّيّة آدم ، وأصبح كلّ إنسان يولَد خاطئًا ! وهو ما يُسمّى بعقيدة الخطيئة الموروثة .

وبعد مرور أجيال وأجيال من البشر ، قرّر الله أن يغفر لآدم وللبشريّة هذه الخطيئة . لكنّ المشكلة ، دائمًا حسب زعم المسيحيّين ، أنّ هذه المغفرة لا يُمكن أن تحصل إلاّ عن طريق سَفْك دَم !

فقبلَ اللهُ أن يَسفكَ دَم ابنه الوحيد عيسى المسيح ، لكي يَغفر للبشريّة خطيئة أبيهم آدم ، فأرسلَه إلى الأرض ليُصلَب ويموت فداء لخطايا البشر ! وهو ما يُسمّى بعقيدة الصّلب والفداء .

وكلُّ مَن يُؤمن بأنَّ المسيح جاء لهذا الأمر وأنّه قام بعد الصّلب ، يَخلُص وينجُو من العذاب يوم القيامة !! وهو ما يُسمَّى بعقيدة الخلاص .

ولكي تكتمل المنظومة ، أضاف المسيحيّون بأنّ هذا المسيح الذي هو ابن الله ، هو في نفس الوقت : الله ، وهو في نفس الوقت : روح القُدُس !! أي أنّ الله والمسيح وروح القُدُس هم شيء واحد !! وهو ما يُسمَّى بعقيدة التّثليث .

نعم ، هذا ما يؤمن به المسيحيّون ! فالحمد لله أن أنعم علينا نحن بنعمة الإسلام ، دين العقل والفطرة والمنطق !

وللرّدّ على هؤلاء ، نقول أوّلاً بأنَّ عقيدة الفداء والخلاص تتعارض بلا شكّ مع العقل ، ومع صفة العدل عند الله ، لأنها تُلغي مبدأ القصاص يوم القيامة وأخْذ حَقّ المظلوم من الظّالم ! بل إنّها تُشكّل خطرًا كبيرًا على الإنسانيّة ، لأنها تُشجّع الفرد على فعل ما يُريد بدون قيد أو شرط ، دون أن يخاف من العقاب . لأنه على كلّ حال سوف يَخلُص ويَنجو طالما آمنَ بأنَّ المسيح ابن الله ، وأنّه صُلبَ وقام !!

ثمّ إنّ مسألة الخطيئة التي ورثتها البشريّة عن أبيها آدم ،

حسب زعم المسيحيّين ، لَم تَرِدْ على لسان أحد من الأنبياء قبل عيسى عليه السّلام ، ولا وُجود لأيّ ذِكْر لها في التّوراة ! فهل يُعقَل أنّ الله تعالى أخفَى شأنَها عن أنبيائه بالرّغم من علْمه بأنّ خلاص البشريّة لا يَتمّ إلاّ بسَفك دَم للتّكفير عن هذه الخطيئة ؟! وماذا عن مصير البشر الذين جاءوا قبل المسيح إذًا ؟! ولماذا انتظر الله آلاف السّنين قبل أن يُرسلَ المسيح ليُخلّص البشريّة ؟!

ثمّ ، هل يَقبلُ العقلُ أن يبذلَ الله ابنَه الوحيد المزعوم ، ليُصلَب على خشَبة ويتألّم ويُهان ويُبصَق في وجهه ويموت ، افتداءً لخطيئة آدم ولخطايا البَشَر ؟! ألم يكن بإمكان الله ، وهو المتصرّف وحده في كلّ شيء ، أن يَغفر لعباده خطاياهم دون أن يُضحّي بفلذة كبده ؟! هل يُعقل أن يكون الله بمثل هذه القسوة ، فيُلقي بابنه إلى الإهانة والعذاب ؟! ومن أجل ماذا ؟! من أجل حَفنة من البَشَر يعيشُون فوق كوكب صغير لا يُمثّلُ ذرّةً في كونه الفسيح !!

والله إنّ عقيدةَ الفداء والخلاص هُراءٌ لا يقبلُه عقلٌ ولا منطق ، ولا يليقُ بجلال الله وعدله وحكمته وكماله ،

سبحانه وتعالى عمّا يقولُ الظّالمون عُلُوّاً كبيراً !

ثمّ إنّ الله قد تاب برحمته على آدم وحوّاء منذ أن كانا في الجنّة ، وانتهت القضيّة ! يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢- البقرة ٣٥-٣٩) .

فليس هناك إذاً خطيئةٌ موروثة ، وكلُّ إنسان مسؤولٌ فقط عن أفعاله ، يقول تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا

كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٦- الأنعام ١٦٤) .

هذا بخصوص الفداء والخلاص . أمّا عن عقيدة التّثليث ، فهي بالفعل عقيدة أعجب من العجب ! فهي تنصُّ على أنّ الإله يتكوّن من ثلاثة أقانيم : الآب والابن وروح القدس ، وأنّ هؤلاء الثّلاثة يُمثّلون شيئًا واحدًا ! أي أنّ المسيح هو : ابن الله ، وهو في نفس الوقت : الله ، وهو في نفس الوقت : روح القدس !!

والسّبب في ابتكار المسيحيّين لهذه العقيدة العجيبة ، هو أنّهم لمّا زعمُوا أنّ المسيحَ ابنُ الله ، اصطدمُوا بعقيدة أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا قبل المسيح والذين لَم يذكروا أنّ لله ولدًا . ولو بَحثْنا في أسفار التّوراة ، لَما وَجدنا فيها أيّ ذكْر لذلك . لهذا ، لَم يَجد المسيحيّون مَخرَجًا إلاّ باستحداث الإله ذي الثّلاثة أقانيم : الآب ، والابن . وروح القدس ، ثمّ القول بأنّها شيءٌ واحد ، وأنّهم يعبدون إلها واحدًا !

وظَنّوا أنّهم بهذا قد حَلّوا المشكلة ، ولكنّهم اصطدمُوا هذه المرّة بالعقل والمنطق ، وأصبح عليهم أن يشرحُوا للنّاس كيف أنّ : ١ + ١ + ١ = ١ ، وليس ثلاثة ! فسقطوا في دوّامة

تفاسير وتشبيهات غامضة ، لم يستطيعُوا الخروج منها إلى اليوم ! بل ، ولن يستطيعُوا الخروج منها إلى قيام السّاعة ، لأنَّ عقيدتهم باطلة من الأساس ، عندما ادَّعَوْا بأنَّ المسيحَ ابنُ الله وأنَّه جاء ليُصلَّب تكفيرًا عن خطيئة آدم وخطايا البشر . وكلُّ ما بُني على أساس باطل ، فهو باطل .

ثمّ إنّه يكفي أن نقرأ قانون الإيمان المسيحي الذي يُؤمنون به ، ليَتَّضح لنا أنَّهم يُؤمنون بثلاثة آلهة مختلفة . يقول هذا القانون ، والمعروف بالقانون النِّيقاوي - القسطنطيني : نؤمن بإله واحد ، آب ضابط الكلّ ، خالق السّماء والأرض ، كلّ ما يُرى وما لا يُرى .

وبربٍّ واحد يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كلّ الدّهور ، إله من إله ، نور من نور ، إله حقّ من إله حقّ ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب في الجوهر ، الذي به كان كلّ شيء ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السّماء وتجسّد بالرّوح القدس من مريم العذراء ، وصار إنسانا وصُلب عنّا على عهد بيلاطس البنطي ، تألّم ومات وقُبر ، وقام في اليوم الثّالث كما جاء في

الكتب ، وصعد إلى السّماء وجلس عن يمين الآب ، وسيأتي أيضًا بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه .

وبالرُّوح القدس الرّبّ المحيي ، المنبثق من الآب (والابن) ، الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويُمجد ، النّاطق بالأنبياء .

وبكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسوليّة ، ونعترف بعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات والحياة في الدّهر الآتي . آمين . (نصّ القانون منقول من موقع الموسوعة العربية المسيحية www.christusrex.org) .

فلو سألنا طفلاً صغيرًا في السّادسة من عمره : كَم عدد الآلهة في هذا النّصّ ؟ لأجاب بدون تردّد : طبعًا ثلاثة ! ولو قلنا له : أبدًا ، إنّها كلّها تُمثّلُ إلها واحدًا ، لَرَدَّ مُستغربًا : كيف ذلك ، والنّصُّ يُعلنُ بوضوح أنَّ يسوع وُلدَ من أبيه ؟! فهناك أبٌ ، وهناك ابن . والأبُ لا بُدَّ أن يكون أقدم من الابن ومستقلاً عنه في التّصرّف والحركة ! وفي النّصّ أيضًا أنّ الابن صُلِبَ ودُفنَ وقام وصعد إلى السّماء . فهو إذًا كائنٌ

قائمٌ بذاته ويتصرَّف بكلّ حرّيّة . وفي النّصّ أيضًا أنَّ الابنَ جلس عن يَمين أبيه . فكيف يجلسُ الابنُ بجانب الأب إذا كان الاثنان شيئًا واحدًا ؟!

هل الأناجيل وحيٌ من عند الله ؟

الأناجيل الأربعة الموجودة اليوم عند المسيحيّين ليست وحيًا من عند الله ، وليست هي الإنجيل المذكور في القرآن والمنزَّل على عيسى عليه السّلام . وإنّما هي من تأليف بشر ، وبينها اختلافات وتناقضات ، وفيها أقاويل مغلوطة لا يمكن أبدًا نسْبَتها إلى الله تعالى ولا إلى نبيّه الكريم عيسى عليه السّلام . وهذه بعض الأمثلة :

جاء في إنجيل متى : فإنَّ ابنَ الإنسان (أي المسيح) سوف يأتي في مَجْد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يُجازي كُلَّ واحد حسبَ عَمَله . الحَقَّ أقولُ لكُم ، إنَّ منَ القيَام هَهُنا قومًا لا يَذُوقون الموْتَ حتّى يَرَوُوا ابنَ الإنسان آتيًا في مَلكُوته . (إنجيل متى - الإصحاح السّادس عشر ٢٧-٢٨) .

وجاء في موضع آخر من إنجيل متى : وفيما هو جالسٌ على جَبل الزَّيتون ، تقدَّم إليه التَّلاميذُ على انفراد قائلين : قل لنا متَى يكونُ هذا وما هيَ علامةُ مَجيئكَ وانقضاء الدَّهر ؟ فأجاب يَسُوع : ... وحينَئذ تَظْهرُ علامةُ ابن الإنسان في السَّماء . وحينَئذ تَنُوح جميعُ قبائل الأرض ويُبصرُون ابنَ الإنسان (أي المسيح) آتيًا على سَحاب السَّماء بقُوَّة ومَجْد كثير ... الحقّ أقولُ لكُم : لا يَمضي هذا الجيلُ حتَّى يكون هذا كُلّه . (إنجيل متى - الإصحاح الرَّابع والعشرون ٣-٣٤) .

ففي هذه النُّصوص ، يزعُم كاتب هذا الإنجيل أنَّ المسيح عليه السَّلام أخبر تلاميذه عن قُرب نهاية العالَم ، وحدَّدها بأنَّها ستكُون في جيلهم : " لا يَمضي هذا الجيلُ حتَّى يكون هذا كُلّه " ، حتَّى أنه ذكَر بأنَّ بعضهم سيكون حاضرًا : " إنَّ منَ القيَام هَهُنا قومًا لا يَذُوقون الموْتَ حتَّى يَرَوُا ابنَ الإنسان (أي المسيح) آتيًا في مَلَكُوته " .

ولكنَّ الواقع يشهدُ بأنَّ الجيل الأوَّل انقضَى ، وانقضتْ بعده أجيال وأجيال ، ومرَّت ٢٠٠٠ سنة ، ولم تتحقَّق هذه

النُّبوءة المنسوبة كذبًا إلى المسيح عليه السَّلام !

وجاء في خاتمة إنجيل مرقس ، بعد حديثه عن صَلْب المسيح وقيامته وظهوره لبعض النَّاس : أخيرًا ظهرَ للأحَدَ عَشَرَ (وهم تلاميذه) وهم مُتَّكِئُون ، ووبَّخَ عدَم إيمانهم وقَسَاوة قُلُوبهم لأنَّهم لَم يُصَدِّقُوا الذين نَظَرُوه قد قام . وقال لهم : اذْهَبُوا إلى العالَم أجْمَع واكْرزُوا بالإنجيل للخَليقة كُلّها . مَنْ آمَن واعتَمَد خَلص ، ومَنْ لَم يُؤمنْ يُدَنْ . وهذه الآياتُ تَتبعُ المؤمنينَ : يُخرجُون الشَّياطينَ باسْمي ، ويتكلَّمون بألْسنَة جديدة . يَحْمِلُون حَيَّات ، وإن شَربُوا شيئًا مُميتًا لا يَضُرُّهم ، ويَضَعُون أيديهم على المرْضَى فَيَبرأون . (إنجيل مرقس - الإصحاح السَّادس عشر ١٧-١٨) .

وجاء في موضع آخر من إنجيل مرقس : فتذكَّر بُطْرس وقال له : يا سَيِّدي ، انظُر التِّينَةَ التي لَعَنْتَها قد يَبسَتْ . فأجاب يَسُوع : ليَكُنْ لَكُم إيمانٌ بالله لأنّي الحقَّ أقولُ لكُم : إنَّ مَنْ قالَ لهذا الجَبَل انْتَقلْ وانطَرحْ في البحر ، ولا يشُكُّ في قَلْبه بل يُؤمنُ أنَّ ما يَقوله يكُون ، فَمَهْما قال يكونُ له . لذلكَ أقولُ لكم : كلّ ما تَطْلُبونَه حينَما تُصَلُّون ، فآمنُوا أن

تَـنالُوه فيكُون لكم . (إنجيل مـرقس - الإصحاح الحادي عشر ٢١-٢٤) .

وجاء في إنجيل يوحنّـا : الحقّ الحقّ أقولُ لكُم : مَن يُؤمنُ بي ، فـالأعمالُ التـي أنا أعملُـها يَعملُها هو أيـضًا ، ويَعملُ أعظَم منها لأنّي ماض إلى أبـي . (إنجيل يوحنَّا - الإصحاح الرَّابع عشر ١٢) .

ففي هذه النُّصوص يزعُم كاتبُـو هذه الأناجيل أنَّ المسيح عليه الـسَّلام ضَـمنَ لـهم أنَّ كـلَّ من يُـؤمـن به (أي كلّ مسيحي) يَستطيعُ صُنعَ المعجزات التي صنَعَها هو ، من شفاء المرضَى وإحياء الموتى !!

بل ويُؤكِّـدُ لهم في نصٍّ آخـر أنَّ مَنْ يعجـزُ عن فعْل مثل هذه المعجزات ، فهو ليس بمُؤمن !! فقد جاء في إنجيل متى : ولَمَّـا جاءُوا إلـى الجمْع تقـدَّم إليـه رجُلٌ جاثـيًا لـه وقائلاً : يا سَـيِّد ، ارْحَم ابْني فإنَّه يُصرَعُ ويتـألَّم شـديدًا ويقعُ كثيرًا في النَّار وكثـيرًا في الماء ، وأحضَـرْتُه إلى تلاميـذكَ فلَم يَقْدرُوا أن يشْفُوه . فأجابَ يَـسُـوع : أيُّها الجيلُ غَيْر المؤمن المُلْتَوي ، إلى متى أكـونُ معكُم ؟ إلى متَـى أحتملُكم ؟ قدِّمـوه إليَّ هَهُنا .

فانتَهره يَسُوع ، فخرج منه الشَّيطانُ ، فشُفيَ الغلامُ من تلكَ السَّاعة . ثمَّ تقدَّم التَّلاميذُ إلى يَسوع على انفراد وقالُوا : لماذا لم نَقدرْ نحنُ أن نُخرجَه ؟ فقال لهم يَسوع : لعَدم إيمانكُم . فالحقَّ أقولُ لكم : لو كان لكُم إيمانٌ مثل حَبَّة خَردَل لَكُنتم تقولون لهذا الجبَل : انْتَقلْ من هنا إلى هناك ، فينتقلُ ولا يكونُ شيءٌ غير مُمكن لَديْكُم . (إنجيل متى - الإصحاح السَّابع عشر ١٤-٢١) .

ولكنَّ التَّاريخ يَشهد بأنَّ المسيحيِّين ، بما فيهم الباباوات والقساوسة ، لم يستطع أحدٌ منهم أن يفعل ولو معجزة واحدة طوال حياته ! فإمَّا أنَّهم كلّهم ليس في قلْبهم مقدار حبَّة خَردل من إيمان ، أو أنَّ ما جاء في الأناجيل ليس بصحيح !!

وجاء في إنجيل مرقس : وابتدأ بُطْرس يقول له : ها نحنُ قد تركْنَا كلَّ شيء وتَبعْناكَ . فأجابَ يَسوع : الحقَّ أقول لكُم : ليس أحدٌ تركَ بيتًا أو اخوةً أو أخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل ، إلاَّ ويأخذُ مائة ضعْف الآن في هذا الزَّمان بُيوتًا وأخوةً وأخوات وأمَّهات وأولادًا وحقولاً مع اضطهادات ، وفي الدَّهر الآتي الحياة

الأبديَّة . (إنجيل مرقس - الإصحاح العاشر ٢٨-٣٠) .

فهل يستطيع المسيحيّون أن يُفهمونا : كيف يُمكنُ لأتباع المسيح أن يُصبح لهم مائة ضعف من البيوت والحقول والأخوة والأخوات والأمَّهات والأولاد ؟!! والنَّصُّ واضح الدُّلالة أنَّ هذا التَّعويض يكون في الدُّنيا : " في هذا الزَّمان " .

طبعًا ، لن يستطيعُوا الإجابة لأنَّ التَّاريخ يشهد بأنَّ أتباع المسيح لم ينالُوا شيئًا من كلِّ هذا !

وجاء في إنجيل متى عن العجائب التي حصلَتْ بعد الصَّلب المزعوم : فصرخَ يسُوعُ أيضًا بصَوت عظيم وأسلمَ الرُّوح . وإذا حجابُ الهيكل قد انشقَّ إلى اثنيْن من فوق إلى أسفل ، والأرضُ تزلزلَتْ والصُّخورُ تشقَّقتْ والقبور تفتَّحتْ ، وقام كثيرٌ منْ أجساد القدّيسين الرّاقدين ، وخرجُوا منَ القُبور بعد قيامَته ودخلُوا المدينةَ المقدَّسة وظهرُوا لكَثيرين . (إنجيل متى - الإصحاح السَّابع والعشرون ٥٠-٥٣) .

فالحديث عن قيامة كثير من القدّيسين من قبورهم وظهورهم للنَّاس ، هو كذبٌ لا محالة ، لأنَّه لو كان وقعَ لَتحدَّثتْ به كلُّ الأناجيل نظرًا لأهَمّيَّته ! ولكنَّ هذا الحدث

ذكَره متى فقط ! ثمَّ إنَّه لم يذكُر بعدَه ما كان من أمر هؤلاء القدّيسين : هل عادوا إلى أهليهم وعاشوا معهم ، أم أنَّهم ماتُوا في نفس اليوم ؟!

وجاء في إنجيل مرقس عن آخر أقوال المسيح عليه السَّلام عند صلبه المزعوم : وفي السَّاعة التَّاسعة صرخَ يَسوعُ بصَوت عظيم قائلاً : إلُوي ، إلُوي ،لِمَ شَبَقْتَني (الذي تفسيره : إلَهي ، إلَهي ، لماذا تَركْتَني ؟!) . (إنجيل مرقس - الإصحاح الخامس عشر ٣٤) .

لكنَّ لوقا لَم تُعجبه هذه الجملة ، لأنَّه رأى أنَّها لا تتوافق مع عقيدة الفداء التي تقول بأنَّ المسيح عليه السَّلام صُلبَ ليَفتديَ أتباعه ، فنقلَها لوقا عن مرقس ثمَّ أبدلَها لتُصبح : ونادَى يَسوع بصَوت عظيم : يا أبَتاه ، في يَدَيْكَ أستَودِعُ رُوحي . (إنجيل لوقا - الإصحاح الثَّالث والعشرون ٤٦) .

وجاء في إنجيل مرقس أنَّ المسيح عليه السَّلام شَفَى رجُلاً أعمَى . يقول مرقس : وجاءُوا إلى أريحَا . وفيما هو خارجٌ من أريحا مع تلاميذه وجَمْع غفير ، كان بارتيمَاوس الأعمى ابنُ تيمَاوس جالساً على الطَّريق يَسْتعطي . فلمَّا سمع أنَّه

يَسوعُ النَّاصري ، ابتدأ يَصرخ ويقول : يا يَسوع بن داود ارحَمني . فانتهرهُ كثيرون ليَسكُت ، فصرخ أكثر كثيراً : يا ابنَ داود ارحَمني . فوقفَ يَسوع وأمَر أن يُنادَى ، فنادَوا الأعمى قائلين له : ثقْ ، قُمْ هُوَ ذَا يُناديك . فطرح رداءهُ وقام وجاء إلى يَسوع . فسأله يَسوع : ماذا تُريدُ أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : يا سَيِّدي ، أن أبْصر . فقال له يَسوع : اذْهَبْ ، إيمانُكَ قد شَفاكَ . فَللْوَقت أبصرَ ، وتبعَ يَسوعَ في الطُّريق . (إنجيل مرقس - الإصحاح العاشر ٤٦-٥٢) .

لكنْ متى روى نفس القصَّة ، فجعلَ الرَّجل الأعمى رجُلَين اثنَيْن ! يقول : وفيمَا هم خارجُون من أريحَا تَبعهُ جَمعٌ كثير . وإذَا أعْمَيان جالسان على الطُّريق . فلَمَّا سَمعَا أنَّ يَسوع مُجتازٌ صرخَا قائلَيْن : ارحَمنا يا سيِّدُ يا ابنَ داوُد . فانْتَهرهُما الجمعُ ليَسكُتا ، فكانَا يَصرُخان أكثر قائلَيْن : ارحَمنا يا سيِّدُ يا ابنَ داوُد . فوقفَ يَسوع وناداهُما وقال : ماذا تريدان أن أفعلَ بكُما ؟ قالا له : يا سيِّدُ ، أن تنفتحَ أعيُنُنا . فتحنَّن يَسوعُ ولَمس أعْيُنهما ، فللْوقت أبصرَتْ

أعينُهما فتَبعاه . (إنجيل متى - الإصحاح العشرون ٢٩-٣٤)

نكتفي بهذه الأمثلة ، وصدق الله العظيم حين أعلن أنَّ كلَّ كتاب يحتوي على تناقضات وأغلاط ، لا يُمكنُ أن يكون وحيًا من عنده . يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٤- النّساء ٨٢) .

فقد وُجدَتْ فعلاً الاختلافاتُ والأغلاطُ والافتراءاتُ على الله سبحانه وعلى أنبيائه الكرام ، في التُّوراة الموجودة اليوم عند اليهود والأسفار المصاحبة لها ، وفي الأناجيل والرُّسائل الموجودة اليوم عند المسيحيِّين . فهي إذًا من عند غير الله !

كلمة عن المعتقدات الأخرى

أظنّ أنّه لا فائدة من الوقوف عند الدّيانات الأخرى ، مثل الهندوسيّة والبوذيّة وغيرها ، لأنّها ليست ديانات سماويّة ، أي أنّ اتباعها لا يُؤمنون بالله ولا بأنبيائه ولا بالبعث والحساب والجنّة والنّار ، وبالتّالي فهي ديانات باطلة .

وسنكتفي على كلّ حال بذكر قصّة إسلام رجُل من سيريلانكا اسمُه محمّد خان ، كان هندوسيّاً ثمّ انتقل إلى البوذيّة ثمّ إلى المسيحيّة حتّى اهتدى إلى الإسلام .

يقول محمّد خان : أنْتمي إلى عائلة مقدّسة في الدّيانة الهندوسيّة بسيريلانكا ، يَتمتّع أفرادُها بثراء واسع ، كما أنّهم يتعالَوْن عن بقيّة النّاس . وأذكُر وأنا صغيرٌ لَم أتجاوز

العاشـرة من العمـر أنّني لعبـتُ مع أحد الأطفـال ، فلمّا رآهُ والـدي ضربَه ضربًا مـبرّحًا ، لأنّه تجاوز الفـوارق الطّبقيّة التي لا تسمح بمثله أن يلعبَ مع مَن هو مثلي !

من ناحيَـة الدّيانة الهندوسـيّة ، فقد كان لي مُعلّمٌ مُوَكّلٌ بتدريسي إيّـاها . وكان هذا المعلّـم يُمارسُ ما يُسَمّـى بالسّحر الأسـود ، مثل المشْي حافـيًا على الجمر أو الـزّجاج المكسور ، وإدخال المسامـير في اللّسان والخدّ دون خروج دم أو الإحساس بألم . فكنتُ فيما بعد أمارسُ بدوري هذه الأعمال أمام عامّة النّاس ، وكانُوا يعتقدُون أنّـني أستطيع القيـام بها لأنّني من عائلـة مُقَدّسـة ! لكنّ الحقيقـة أنّني كنـتُ أستعينُ في ذلك بـشَيَاطين الجنّ ، وهـذا مَا جعَلني أتـساءلُ عن صحّة الـدّيانة الهندوسيّة .

ثمّ ازدادتْ تـساؤلاتي وشـكوكي عنـدما بلغتُ الخـامسة عشـر من عمري ، وبـدأتُ أتعجّبُ من كثرة الآلهـة عندنا ، حيثُ كـان في منـزلنـا أكثـر من مـائة إله ، كلُّ واحـد منهم مسـؤولٌ عن شيء معيّن ! فكان هنـاك إله المطر ، وإله القوّة ، وإله الحكمـة ، وإله الرّزق ! وكلّهـا لا تنفع ولا تضُـرُّ ! فكنتُ

أسألُ المعلّم عن حقيقة هذه الآلهة ، وأقول له بأنَّ عبادتَها لا تَتَماشى مع العقل والمنطق ، فكان ينهرُني لذلك .

عندما بلغتُ الرَّابعة والعشرين من عمري ، حدثَ أنَّ معلّمي كان يقومُ يومًا بأعمال سحريَّة ، فأمَرهُ الجنُّ الذي يتعامَل معه أن يُغادر ذلك المكان قبل السَّاعة الرَّابعة عصرًا . لكنَّه شربَ الخمر ثمَّ نامَ ، ولَم يُغادر المكان في الموعد . فلَمَّا أفاق ، وجد نفسَه قد فَقد القدرة على الكلام . ولَمَّا زُرتُه وسألْتُه عن السَّبب ، أخبرني بالإشارة أنَّ ذلك كان عقابًا من الجنّ ، وحذَّرَني منهم .

تحقَّقتُ عند ذلك من أنَّ الهندوسيَّة ديانةٌ باطلة ، وأنَّها تقوم على استغلال عامَّة النَّاس وخداعهم بألعاب سحريَّة لإقناعهم بأنَّ الأشخاص الذين يَقومون بهذه الأعمال مُقَدَّسون ، ويجبُ تقديم المال الكثير لهم .

فتركتُ هذه الدِّيانة ، رغم القداسة التي كانت تتمتَّع بها عائلتي فيها ، واعتنقتُ البوذيَّة لِمَا رأيتُ فيها من دعوة للسَّلام والعدل . لكنَّني اكتشفتُ فيما بعد أنَّها لا تختلفُ كثيرًا عن الهندوسيَّة ، خاصَّة في عبادة الأصنام ، حيثُ أنَّ

البوذيّين يعبدون صنَم بوذا .

وبعد حَوالَي أربع سنوات في البوذيّة تحوّلتُ إلى المسيحيّة ، وذلكَ أنّ والدتي دخلتْ في هذه الدّيانة ، فحوّلَتْ كلُّ العائلة معها . أعجبَني في المسيحيّة أنّه ليس فيها عبادة أصنام ، وأحببتُ المسيح عليه السّلام لأنّه قُدّم لنا على أنّه ابنُ الله .

ثمّ أُتيحَتْ لي فرصَةُ للعمل في السّعوديّة ، فذهبتُ إلى هناك . فكنتُ أتحدّثُ مع بعض زملائي في العمل بغَرض دَعوَتهم إلى المسيحيّة ، وكان من بينهم مُسلمٌ من الهند بارعٌ في النّقاش . فكنتُ إذا قلتُ له عَشْر كلمات عن المسيح عليه السّلام ، رَدّ عَلَيّ بمائتَيْ كلمة عنه ! فاستغربْتُ من معرفته الدّقيقَة بتَفاصيل حياة المسيح عليه السّلام رَغْمَ أنّه مُسلم ! وزاد استغرابي عندما أخبرَني أنّه يُؤمنُ بالمسيح نَبيّا مثل بقيّة الأنبياء !

ممّا لَفتَ انتباهي بعد ذلك أنّني وجدتُ المسلمين مُتعاونينَ فيما بينهم ، ويتعاملُون مع بعضهم دون أيّة فوارق طَبَقيّة مثل التي عند الهندوس . وأذكُر مرّةً أنّ أحد زملائي المسلمين دعاني مع آخرين للإفطار في رمضان . وكان من بين

المدعُوّين رجلٌ ثريٌ جداً جلس بيننا وتناولَ الإفطار معنا على نفس الطّاولة ! فقلتُ في نفسي : كُنّا نعيشُ في سيريلانكا طَبقيّةً شديدةً مع مَن هُم أقلّ منه مالاً وجاهًا ، وهذا الرّجُل يَستطيعُ أن يشتري سيريلانكا بأكمَلها ، ومع ذلكَ يَجلسُ معنا بهذه البساطة !

اشتريتُ مصحف قرآن ، وبَحثتُ فيه عن الآيات التي تتحدّثُ عن المسيح ومريم عليهما السّلام ، فتيَقّنتُ أنّ هذا ليس كلام بَشَر . ولكنّني لم أكُن قادرًا على اتّخاذ قرار ، فوضعتُ القرآن بجانب الإنجيل ودعوتُ الخالقَ أن يُبيّن لي الطّريق الحقّ . وفي يوم ، أتاني صديقي الهندي المسلم ودعاني لحضُور محاضرة لداعيَة أمريكي ، فرافَقْتُه . ولَمّا بدأ المحاضرُ يتحدّثُ عن المسيح عليه السّلام وأمّه الطّاهرة مريم ، أخذ جسمي يرتعش ، ومع نهاية المحاضرة آمنتُ أنّ الله تعالى هو الإله الحقّ .

فأسلمتُ والحمد لله ، ودعوتُ اللهَ أن يشرح صدر زوجتي وابني وابنتي إلى هذا الدّين ، فأسلموا أيضًا بعد مدّة . ثمّ شرحتُ لزوجَتي أهمّيّة ارتداء الحجاب ، فاقتنعَتْ به

وأصبحَتْ تَرتَديه بشَكْل دائم . وهي الآن تقومُ بالدَّعوة في الحيِّ الذي نسكنُ فيه ، وتُعطي درسًا أسبوعيًا في منزلها . وكذلك ابنتي ارتدَت الحجابَ عن قناعة ، لأنَّه أمرٌ ربَّاني وليس خوفًا منّي ، وأنا أتمنّى أن يرزُقَها الله زوجًا صالحًا .

أعتقدُ أنَّ المرأة عندما تتَّبعُ تعاليمَ الإسلام بشكْل صحيح فإنَّها تنالُ درجةً عاليَة من التَّكريم والتَّقدير . بينَما المرأةُ في الهندوسيَّة تُعامَلُ وكأنَّها أمَةٌ مَملوكة ، يَتمتَّعُ بها الرَّجل ويُسخِّرُها لخدمَته ، وليس لها حقوق ، حتَّى أنَّها كانت في الماضي تُحرَقُ بالنَّار عندما يَموتُ زوجُها ! وفي البوذيَّة يُفرَضُ على الأرملَة لُبس الثِّياب البيض ، وتُمنَع من الخروج من المنزل ! أمَّا في المسيحيَّة ، فإنَّ المرأة تلبسُ ملابس مُحتَشمة فقط عند الذَّهاب يوم الأحد إلى الكنيسة ! فهذه الحشْمة ظاهريَّة فقط ، وليستْ سلوكًا دائمًا .

(نقلاً ، مع تصرُّف بسيط في سرد القصَّة ، عن موقع موسوعة القصص الواقعيَّة www.gesah.net) .

الفصل الثّالث
هذا هو الإسلام

هكذا يبني الإسلامُ الفردَ المسلم

لقد حارت الأنظمةُ الحديثة في إيجاد قواعد تربويّة لتكوين فرْدٍ صالح ، وبالتّالي مجتمع سليم . والسّبب أنّها تركت الدّينَ والأخلاقَ جانبًا ، وراحت تبحث عن تكوين مجتمع فاضل على أسُس ماديّة لا روح فيها ! ولو اتُّبعَت القواعدَ التّربويّة الحكيمة التي وَضَعها الإسلام منذ عدّة قرون ، لَمَا وصلَتْ إلى ما وصلَتْ إليه اليومَ من مشاكل لا حَصْر لها .

إنّ النّظام التّربوي في الإسلام يرتكزُ على قاعدة أساسيّة حكيمة ، تكْفي لِوَحدها للدّلالة على أنّ هذا الدّين هو الدّينُ الحقّ . هذه القاعدة هي : ربْطُ المسلم مُباشرةً بالله ، فلا يخطُو أيّ خطوة ولا يعملُ أيّ عمل إلاّ وهو على يقين أنّ الله ينظر

إلـيه . وكلّما تعمّقَ في نفسه الشّعـورُ بأنّ الله ينظر إليه في كلّ لحظة وفي كلّ مكان ، كـلّما تحسّنـت أخلاقُه ، وكلّما أصبح حريصًا على الإحسـان لغيره والإكثار من فعل الخير .

طبعًا ، ولتحقيق هذه القاعدة ، يجبُ أن يرسخَ في أعماق المسلم أنّ الله هو وحده خالق كلّ شيء ، وأنّه هو وحده القادر على كلّ شيء ، وأنّه لا يغـيبُ عن علمه أيّ شيء ، وأنّه سيُجازي المطيعين بالجنّة والعاصين بالنّار .

فتُصبح علاقتُه بربّه ليست مجرّد خوف من عقابه ، وإنّما علاقة حبّ وثقة وخوف ورجاء . حبّ للّه أكثر من أيّ شيء لأنّ نعَـمَه على عباده لا تُعدّ ولا تُحصَى ، وثقة به لا يُعادلها أيّ شيء لأنّه لا يُخيّبُ عبـدًا التجأ إليه ، وخـوف منه أكثر من أيّ شيء لأنّه شـديد الـعقاب ، ورجـاء في الفوز بـرضاه ودخول جنّته .

فإذا هَـمّ بعد ذلك أن يقـوم بمعصيـة ، فإنّه يتـذكّر أنّ الله يراه ، فيَخجلُ من نفـسه ويعْدل عن هـذا الأمر . وإذا غَلَبَتْه نفسُه وقام بها ، فإنّه سُرعان ما يَتوبُ ويستغفر . وإذا أصابتهُ مُصيبة ، مِنْ نَقْصٍ في المال أو مَرضٍ أو ظَلَمَه أحدٌ ، فإنّه يلجأ

مباشرة إلى الله ، يدعُوه أن يرفع عنه هذا البلاء . ثمَّ إنَّه يَبقى طول الوقت على اتّصال دائم بالله ، فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتَّى يذكر الله ، ولا يَشرع في عمل حتَّى يستعين بالله .

فهل يمكن بعد هذا أن نحصل على أناس منحرفين ؟!

مستحيل ! لأنَّ الذي ينشأ على هذه التَّربية ، إذا حدثَ بعد ذلك أن تهاونَ في دراسته أو أساء الأدبَ مع غيره ، فيكْفي أن يُذَكّره والداه أو أقرباءه بأنَّ الله لا يُحبُّ هذه الأشياء ، لكي يعود إلى رُشده . وفي العادة ، تكُون النَّتيجة أفضل بكثير من الصّياح والتَّهديد والوعيد .

بينما إذا رُبّي الطّفلُ فقط على قاعدة الخوف من عقاب والديه أو الخوف من الشُّرطة ، فإنّه سيجد دائماً طريقةً لمُغالَطتهم والإفلات من مراقبتهم !

أمَّا كيف يربطُ الإسلامُ المسلمَ مباشرةً بربّه ، فهذا ما سنراه مفصَّلاً في الصَّفحات القادمة بإذن الله .

انتبه ، إن الله يراك !

نعم ، فالله سبحانه لا يَحُدُّه مكانٌ ولا زمان ، وما مِن شيء يحدثُ في هذا الكون الفسيح إلاّ وهو يعلمُه . يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ ﴾ (٣- آل عمران ٥) . ويقول تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝ ﴾ (٥٧- الحديد ٤) .

بل حتّى الأفكار التي تدور بأذهاننا في أيّ وقت من

الأوقات ، يعلمها الله ! يقول تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝ ﴾ (٤٠- غافر ١٩) .

بإمكان الإنسان إذًا أن يُغالطَ إنسانًا مثله ، ولكنَّه لن يستطيع أبدًا أن يُغالِط اللهَ سبحانه ، أو أن يغيب لحظةً عن نَظَره !

لذلك ، كان نبيُّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم يُربِّي أصحابه على أن يَسْتَشعِرُوا مراقبةَ الله لهم بصِفَة دائمة . وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذاتَ يوم ، إذ طلعَ علينا رجلٌ شديد بياض الثِّياب شديد سواد الشَّعر ، لا يُرَى عليه أثَر السَّفَر ولا يَعرفُه منَّا أحَد ، حتَّى جلسَ إلى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأسْنَد رُكبتيْه إلى رُكبتيْه ووضع كفَّيْه على فخذَيْه ، وقال : يا محمَّد ، أخبِرْني عن الإسلام . فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله ، وتُقيم الصَّلاة ، وتُؤتي الزَّكاة ، وتصُوم رمضان ، وتحجَّ البيت إن استطَعْت إليه سَبيلاً . قال : صدَقْت .

قال عمر : فعجِبْنا له يسألُه ويُصدّقُه !

قال : فـأخْبـرْني عـن الإيمان . قـال : أن تُؤمـن بالله ، وملائـكته ، وكُتُبه ، ورُسُله ، واليـوم الآخر ، وتُؤمـن بالقَدَر خَيْره وشرّه . قال : صدَقْت . قال : فأخْبِرْني عن الإحسان . قال : أن تعبُدَ الله كأنّك تـراه ، فإن لم تكُن تراه فإنّه يراك . قال : فأخْبِرْني عن السّاعة . قال : ما المسؤولُ عنها بأعلَم من السّائل . قال : فـأخْبِرْني عن أماراتهـا . قال : أن تَلد الأمَةُ ربّتَها ، وأن تـرَى الحفاةَ العُراة العـالَة رِعاء الشّـاء يتطاولون في البُنْيان .

قال عمر : ثمّ انطلقَ ، فلبثْتُ مَليّا ثمّ قال لي : يا عمر ، أتدري مَن الـسّائل ؟ قلـت : الله ورسوله أعلَم . قـال : فإنّه جبريل أتـاكُم يُعلّمُكم دينكـم . (صحيح مسلم - الجزء ١ - ص ٣٦ - رقم الحديث ٨) .

القاعدة الأولـى إذًا في بناء الفرد المـسلم ، هي : أن تعبُد اللهَ كأنّك تراه ، فإنّك إن لم تكُن تراه فإنّه يَراك !

حبٌ ويقينٌ وتوكُّل !

حديثان عَظيمان رواهما نبيُّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم عن ربِّه ، لا نستطيع أن نقرأهما دون أن نَخرَّ ساجدين لعظمة الله سبحانه وتعالى ، من خلال عَطائه الجزيل ، ومَغْفرته الواسعة ، وقُرْبه من عباده .

الحديث الأوَّل رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يقولُ الله عَزَّ وجلَّ : مَن جاء بالحسَنة فلَه عَشْر أمثالها وأزيد ، ومَن جاء بالسَّيِّئة فجَزاءه سيِّئة مثلها أو أغْفر . ومَن تَقرَّبَ منِّي شِبْرًا تقرَّبتُ منه ذراعًا ، ومَن تقرَّبَ منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منه باعًا ، ومَن أتاني يَمشي أتيتُه هَرْوَلَة ، ومَن لَقِيَني بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بي شيئًا لَقيتُه

بمِثْلِها مَغْفِرة . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢٠٦٨ - رقم الحديث ٢٦٨٧) .

انتبه يا أخي الكريم ! إنَّ المتحدِّثَ هنا هو الله بجلاله وعظمته ، يَعرض سخاءَه وكَرمه على مخلوق ضعيف من مخلوقاته ، لا يَنفعه ولا يَضرُّه ، ولا يَكاد يُرَى في هذا الكون الفسيح !

الحديث الثّاني رواه أيضًا الإمام مسلم عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، قال : قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يقولُ الله عزّ وجلّ : يا عِبادي ، إنّي حرّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسي وجعلْتُه بينكُم مُحرمًا ، فلا تَظَالَمُوا . يا عِبادي ، كُلُّكُم ضالٌ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُه ، فاسْتَهْدُوني أَهْدِكُم . يا عِبادي ، كُلُّكُم جائعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُه ، فاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُم . يا عِبادي ، كُلُّكُم عارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُه ، فاسْتَكْسُوني أكْسُكُم . يا عِبادي ، إنَّكُم تُخْطِئُون باللّيل والنّهار وأنا أغْفِرُ الذُّنوبَ جميعًا ، فاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لكُم . يا عِبادي ، إنَّكُم لَنْ تَبْلُغُوا ضرّي فتَضُرُّوني ، ولن تبْلُغُوا نَفْعِي فتَنْفَعُوني . يا عِبادي ، لَوْ أنَّ أوّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُم وجِنَّكُم كانُوا على أتْقَى قَلْب

رجُلٍ واحدٍ منكُم ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شَيْئًا . يا عِبَادي ، لَوْ أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُم وجِنَّكُم كانُوا على أفْجَرِ قَلْبِ رجُلٍ واحدٍ منكُم ، ما نَقَصَ ذلكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يا عِبَادي ، لَوْ أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنْسَكُم وجِنَّكُم قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فسَألُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْألَتَهُ ، ما نَقَصَ ذلكَ مِمَّا عِنْدِي إلاَّ كما يُنْقِصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْر . يا عِبَادي ، إنَّمَا هي أعمَالُكُم أُحْصيها لكُم ثمَّ أوَفِّيكُم إيَّاها ، فمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ الله ، ومَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلك فلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَه . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ١٩٩٤ - رقم الحديث ٢٥٧٧) .

كلماتٌ تهزُّ المشاعرَ والقُلُوب ! ألا يستحي العبدُ بعد هذا أن يَعْبُدَ مع الله شيئًا آخر ، أو أن ينسب له ولدًا أو زوجة ، أو أن يُحبَّ شيئًا آخر أكثر منه ؟! وإذَا كانتْ كلُّ الأمور بِيَد الله ، يُقلِّبُها وَحْدَه كيف يشاء ، فلِمَ التَّذلُّلُ لغَيْره ؟!

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾ (٨- الأنفال ٢) . ويقول

تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٥١- الذّاريات ٥٨) .

على المسلم إذًا أن يتوكّل على الله في أموره الحياتيّة ، بمعنَى : أن يَدْرُس باجْتِهاد ، وفي نَفْس الوَقْت يسأل اللهَ أن يجعله من المتفوّقين ، وأن يَسْعى للبحث عن عَمَل شريف ، وفي نَفْس الوَقْت يدْعُو اللهَ أن يرزُقَه عملاً جيّدًا يدُرُّ عليه الخير والبركة ، وإذا مَرض أن يذهبَ إلى الطّبيب ، وفي نَفْس الوَقْت يسأل اللهَ أن يشفيه ، وإذا أصابتْه مُصيبة أن يُفكّر في حلٍّ لها ، وفي نَفْس الوَقْت يطلب من الله العون . هذا هو معنى التّوكُّل .

فإذا كان الأمرُ على غير ما يُريد ، فإنّه يَرْضَى بقضاء الله . وإذا حصلَ على مُراده ، فإنّه يَتوجّه بالشُّكْر للّه أوّلاً ، ثمّ إلى الشّخص الذي كان سببًا في ذلك . يقول الله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٥٢) .

أمّا أن نَنْسب الفَضْل فقط إلى الطّبيب الذي أنقذنا من الموت أو إلى مهارتنا وذكائنا في حصُولنا على وظيفة جيّدة ،

فهـذا مَا لا يليق ! وقـد روى الإمام البخـاري في صحيحه عن زيـد بن خالـد رضي الله عنه ، قـال : خرجْنَـا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عامَ الحُدَيْبِيَة ، فأصابَنَا مطرٌ ذاتَ لَيْلَة ، فـصلَّى بنـا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّـم صلاةَ الصُّبح ثمَّ أقبل علينـا ، فـقال : أتَـدْرُون ماذا قـالَ ربُّكُم ؟ قُلْـنا : الله ورسولُه أعْلَم ، فقال : قالَ الله : أصْبَح من عِبَادي مُؤْمنٌ بي وكـافِرٌ بـي ! فأمَّـا مَنْ قـال : مُطِـرْنَا بـرَحْمَـة الله وبرِزْق الله وبفَضْـل الله ، فهو مُؤْمنٌ بي كافـرٌ بالكَوْكَب ، وأمَّا مَنْ قال : مُطِرْنَـا بنَجْم كَـذَا وكذَا ، فهـو مُؤمنٌ بـالكَوْكَب كـافرٌ بي . (الجـامع الـصَّحيح المختصر - الجـزء ٤ - ص ١٥٢٤ - رقم الحديث ٣٩١٦) .

نختـمُ بحديث أخـير في التَّـوكُّل على الله ، يُـذهِبُ الغَمَّ ويُريح الأعـصاب ! روى الـتِّرمـذي في سُنَـنه عن ابن عـبَّاس رضي الله عنه ، قال : كـنـتُ خلْفَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومًا ، فقالَ : يـا غُلام ، إنِّي أعلِّمكَ كَلِمَات : احْفَظ اللهَ يَحْفَظْك ، احْفَـظ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَك ، إذا سـألْـتَ فاسْأل الله ، وإذا استعـنْـتَ فـاسْـتَعِنْ بـالله ، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّـة لـو

اجْتَمعَتْ على أن ينفعُوكَ بشيء ، لم ينفعُوكَ إلاَّ بشيء قد كَتَبه الله لك ، ولو اجْتَمعُوا على أن يَضرُّوك بشيء ، لم يَضرُّوك إلاَّ بشيء قد كَتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلامُ وجَفَّت الصُّحُف . (الجامع الصَّحيح سنن التِّرمذي - الجزء ٤ - ص ٦٦٧ - رقم الحديث ٢٥١٦) .

القاعدة الثَّانية إذًا في بناء الفرد المسلم ، هي : أن تُحبَّ اللهَ تعالى أكثر من كلّ شيء ، وأن تتَيقَّن في قرارة نفسك أنَّ كلَّ الأمور بيَده سُبحانه يُقلّبُها وحدَه كيف يشاء ، وأن تتوَكَّل عليه في كلّ أعمالك طالبًا منه العون والتَّوفيق .

إخلاصُ النّيّة، شرطٌ أساسي لقبول العمل!

نعم ، فإذا تصدّقتَ بصدقة لكي يقول النّاسُ أنّك مُحسن ، فإنّ صدَقتك مردُودةٌ عليك ، لا يَقبلُها الله منك !

لهذا ، حرص نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم منذ بداية دَعْوته أن يُوَجّه المسلمين إلى أن تكون جميع أعمالهم خالصة لله وحده ، حتّى تُحْظَى بالقبُول . فقد روى النّسائي في السُّنن الكبرى عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : أوّلُ النّاس يُقضَى يومَ القيامة عليه ، ثلاثة : رجلٌ استُشْهِد ، فأُتي به فعرّفه (أي الله تعالى) نعَمَه فعرَفها ، قال : فمَا عملْتَ فيها ؟ قال : قاتَلتُ فيك

حتَّى استُشْهِدْتُ . قال : كذبْتَ ، ولكن قاتلْتَ لِيُقال فلانٌ جريء ، وقد قِيل ، ثمَّ أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلْقِيَ في النَّار . ورجلٌ تعلَّم العِلْم وعلَّمَه وقرأ القُرآن ، فأُتِيَ به فعرَّفَه نِعَمَهُ فعَرَفها ، قال : فما عملْتَ فيها ؟ قال : تعلَّمتُ العِلْمَ وعلَّمْتُه وقرأتُ فيك القرآن . قال : كذبْتَ ، ولكن تعلَّمتَ العِلْم لِيُقال عالِم ، وقرأتَ القرآن لِيُقال قارئ ، فقد قِيل ، ثمَّ أُمِر به فسُحِب على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النَّار . ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كُلِّه ، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَه فعَرفها ، قال : ما عملْتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنْفَق فيها إلاَّ أنفقتُ فيها لك . قال : كذبْتَ ، ولكن فعلْتَ كي يُقال جَواد ، فقد قِيل ، ثمَّ أُمِر به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النَّار . (السُّنَن الكبرى - الجزء ٦ - ص ٤٧٧ - رقم الحديث ١١٥٥٩) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم : الشِّرْك الأصْغَر . قالُوا : وما الشِّرْكُ الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرِّياء ، يقول الله عزَّ وجلَّ لهم (أي

لِلْمُرائين) يوم القِيامة إذا جَزَى النَّاسَ بأعمالهم : اذهبُوا إلى الـذين كُنْتُم تُـراءون في الدُّنيـا ، فانظُـرُوا هل تجدُون عـندهُم جزاء . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٥ - ص ٤٢٨ - رقم الحديث ٢٣٦٨٠) .

وروى أبو داود في سُـنَنه عن عمـر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، قـال : قـال رسـولُ الله صلَّى الله عليـه وسلَّم : إنَّمـا الأعمـالُ بالنِّيَّـات ، وإنَّما لـكُلِّ امرئ ما نَـوَى ، فمَنْ كانتْ هجرتُه إلى الله ورسـوله فهِجْرَتُه إلى الله ورسوله ، ومَنْ كانتْ هجْرَتُه لِدُنْيَا يُصيبُها ، أو امرأة يَتَزوَّجُها ، فهِجْرَتُه إلى ما هاجر إليه . (سنن أبي داود - الجـزء ٢ - ص ٢٦٢ - رقم الحديث ٢٢٠١) .

القاعدة الثَّالثة إذًا في بناء الفرد المسلم ، هي : أن تُخْلِص نِيَّتَك للَّه وحدَه ، فلا تقومُ بأيِّ عمل إلاَّ وأنت تَرجُو من ورائه مرضاةَ الله وحُـسْنَ ثَوابه ، لا أن تفعلَه كي يُقال : فلانٌ كثير الصَّدقة أو كثير العبادة !

من ثمار هذه التّربية

بالله عليكِ يا أختي الكريمة ، ماذا تتوقّعين من إنسان تربّى على الشّعور الدّائم بمراقبة الله له ، وتربّى على حُبّ الله والثّقة به والتّوكّل عليه ، وعلى إخلاص العمل له وحده ؟

طبعًا ، سيُصبح من الصّعب عليه أن يتهاون في دراسته أو يعُقّ والديه أو يؤذي غيره أو يسرق أو يتعاطى المخدّرات ، لأنّه يعلَم أنّ كلّ ذلك يُغضِبُ ربّه . وسيتولّدُ في داخله مُحرّكٌ قويٌّ يدفعُه دائمًا لفعل الخير واجتناب الشّرّ .

وعند ذلك ، لن يستغرب من توجيه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن قامت السّاعةُ وبيد أحدكُم

فَسِيلةٌ ، فإن استَطاع أن لا يقُومَ حتَّى يَغْرِسها فَلْيَفْعلْ !
(مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٣ - ص ١٩١ - رقم الحديث ١٣٠٠٤) .

نعم ، لن يستغربَ مِن هذا التَّوجيه لأنَّه إن كان سَيَغرسُ الفَسِيلة ابتغاء مرضاة الله وطمعًا في ثوابه ، فلِمَ لا يفعلُ ذلك ، حتَّى ولو قامَت السَّاعةُ وعلِم أنَّه سيموتُ في تلك اللَّحظة ؟!

وعندما تربَّى المسلمون الأوائل على القواعد الثَّلاث التي ذكَرناها سابقًا ، كانت النَّتيجةُ أن بلغتْ دعوةُ الإسلام نصف الكرة الأرضيَّة في حوالي نصف قَرْنٍ من الزَّمان ، ودخلَ النَّاسُ من مختلف الجنسيَّات أفواجًا في دين الله بسبب أخلاق المسلمين العالية ! نعم ، فهم رأوا فيهم أمانةً في التِّجارة ، وصدْقًا في الحديث ، وعدْلاً في الحكْم لَم يَعْهدُوه مِن قبلُ تحت حُكْم المُلوك الجبابرة من الرُّوم والفُرس .

وكانت النَّتيجةُ ، كما ذكَر الواسطي في كتابه تاريخ واسط ، أنَّ الرَّجُلَ يُخْرجُ زكاة ماله في زَمَن الخليفة العادل عُمر بن عبد العزيز ، فلا يجدُ أحدًا يَقْبَلُها ! نعم ، فاض

المالُ في الدّولة الإسلاميّة ، فلم يعُد هناك فُقراء لأخذ الصَّدقة ، ولم يَطْمع أحدٌ في الزّيادة !

هذا يا أختي الكريمة ما أنْتَجه الإسلام . فماذَا أنتجَت الأنظمَةُ الأخرى ؟

إنّها أنتجتْ إنسانًا ماديّا ، خال من القيَم والأخلاق ، ليس له من مُحرّك داخلي سِوَى حُبّ المال أو الشُّهرة أو المنصب أو الجنس . فكانت النّتيجةُ أن غَرقت المجتمعاتُ التي أفْرَزتْها هذه الأنظمة في مشاكل لا نهاية لها ، من كثرة السُّرقات وحوادث الاغتصاب وتعاطي المخدّرات ، والفساد الإداري والسّياسي والأخلاقي ، وجُور المسؤولين .

ذلك أنّ الإنسان في هذه المجتمعات اسْتَكْبر أن يكونَ عبدًا للّه . فسقَط دون أن يَشعر في عبادة شهواته الجارفة ، لا يستطيع منها خلاصًا ! وأصبح عَبْدُ المال يَرْتَشي ويَغشُّ ويسرق ليَزداد ثَرَاءً ، وصار عَبْدُ الجاه يَدُوس غَيْرَه ويَكيدُ له ليَصل إلى الكُرْسي ، وطَغَت الشّهوةُ على عَبْد الجنس فلَم تَسْلَم من وَحْشيَته ابنته ولا زَوْجة جاره !

هكذا يحفظُ الإسلامُ الفردَ المسلم من الانهيار أمام المصائب

بعد أن رأينا القواعد الثّلاث التي يتربّى عليها الفردُ المسلم ليكون عنصرًا صالحًا في المجتمع ، سنرى الآن ثلاث قواعد أخرى تحفظُه من الانهيار أمام مشاكل الحياة اليوميّة .

هذه القواعد هي : الدُّعاء ، التّوبة ، والرّضا بقضاء الله .

ومن خلالها سنكتشفُ مرّة أخرى رحمة الله الواسعة بعباده ، وفضله الذي لا حدُود له .

الدُّعاء، خطٌّ مفتوح على الدَّوام!

نعم ، خطٌ مفتوح للتّحدّث مباشـرة إلى الله . وقد سُئل أحد الصّالحـين : ما هي أقصر مسافة إلى السّماء ؟ فقال : دعوة مُستجابَة !

بـإمكان أيّ عَبْـد إذًا أن يَدْعـو اللهَ في أيّ وقت من ليل أو نهـار ، مباشـرةً وبدون أيّ وسـيـط ! وإذا كان الإنسـان يتحرّج عادةً من سؤال إنسان مثله مَخافَة أن يَرُدّه صفرَ اليَدَين ، فإنّ الأمْرَ يختلفُ تمامًا مع الله سُبحانه . فهو الذي طلبَ منّا ذلك ، وهو يفرحُ بدُعائنا له .

يقـول تعالـى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤٠- غافر ٦٠) . ويقول أيضًا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٨٦) .

تريدُ أن تنجح بتفوُّق في دراستك ؟ اجْتَهِدْ إذًا ، وادْعُ اللهَ أن تكون الأوَّل على المدرسة .

تريدُ الحصول على عملٍ جيِّد ؟ ابحثْ إذًا ، وادْعُ اللهَ أن يُوَفِّقك في مَسْعاك هذا .

تريدُ أن يَرزقكَ الله زوجةً صالحةً أو مسكنًا واسعًا أو بنينَ وبنات ؟ إذًا ، تَضَرَّعْ إلى الله بالدُّعاء . فمَنْ تركَ الدُّعاء ، فكأنَّما شكَّ في قُدْرة الله على الإجابة .

حتَّى لو كانت كلُّ أمورِكَ تسير على ما يُرام ، فأنتَ بحاجة أن تدعو اللهَ أن يُديم عليك هذه النِّعمة . فلاَ أحَد يستطيعُ أن يَضْمن لنفسه دوامَ صحَّته أو ثرائه أو سعادته .

ولا تظُنَّ يا أخي أنَّ الله لا يستجيبُ إلاَّ لأئمَّة المساجد أو لأصحاب المناصب . أبدًا ! فالله سُبحانه لا ينظر إلى صُوَرنا ومركزنا الاجتماعي ، وإنَّما ينظُر إلى قلوبنا . وقد روى

التّرمذي في سُننه عن أنَس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : كَمْ مِنْ أشعثَ أغبر ذي طمرين ، لا يُؤبَهُ له ، لَو أقسَم على الله لأَبَرَّه ، منهم البَراء بن مالك . (الجامع الصّحيح سنن التّرمذي - الجزء ٥ - ص ٦٩٢ - رقم الحديث ٣٨٥٤) .

لكن انتبه ! لكي يستجيب الله دعاءك ، يجبُ عليك تحقيق بعض الشُروط ، وهي :

١ - أن تكون مسلمًا مُلتزمًا بتعاليم دينك . فكيف تريد أن يُحقّق اللهُ طَلَبك ، وأنت تاركٌ للزّكاة أو للصّوم ، أو تشرب الخمر ؟!

٢ - ألاَّ تدْعُو بشيء حرام . فكيف تُريد من الله أن يَسْمع منك ، وأنت تطلبُ منه مثلاً أن يُنزلَ مُصيبةً بفُلان لكي تأخُذ أنت مَنْصبه في الإدارة ؟!

٣ - أن تختار الوقت والكَيْفيّة .

أمّا الوقت : فقد روى التّرمذي في سننه عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أيُّ الدُّعاء أسْمَع ؟ قال : جَوْف اللّيل الآخر (أي الثُّلث

الأخير من اللّيل) ، ودُبُرَ الصّلَوات المكْتُوبات . (الجامع الصّحيح سنن التّرمذي - الجزء ٥ - ص ٥٢٦ - رقم الحديث ٣٤٩٩) .

وأمّا الكَيْفيّة : فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُرّيرة رضي الله عنه ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : أقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ من رَبّهِ وهو ساجِد ، فأكْثِرُوا الدُّعاء .. (صحيح مسلم - الجزء ١ - ص ٣٥٠ - رقم الحديث ٤٨٢) ..

الأفضل إذًا أن يكُون الدّعاءُ عند السُّجود ، في الصّلوات الخَمْس المفروضة ، أو في صلاة التّهجُّد (وهي صلاة تطوُّع) في الثُّلث الأخير من اللّيل . لكن لا مانع طبعًا من الدُّعاء في أيّ وقت آخر خارج الصّلوات .

٤ - أن تخشع في دُعائك ، وأن تكون على ثِقَة من أنّ الله سَيستجيب لك . فقد روى الإمام أحمد في مُسنده عن عبد الله بن عمرو ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : القُلُوبُ أوْعِيَة ، وبعضُها أوْعَى من بَعْض . فإذا سألْتُم اللهَ عَزَّ وجَلَّ أيُّها النّاس ، فاسألُوه وأنتم مُوقِنُونَ بالإجابَة ، فإنّ الله

لا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غافِلٍ . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٢ - ص ١٧٧ - رقم الحديث ٦٦٥٥) .

٥ - أن تدعُو اللهَ بأسمائه الحسْنَى وصفاته العُلا ، كأن تقول : يا رزّاق ارزقْني من رزقكَ الحلال الطّيّب ، يا غفّار اغفر لي ذنوبي ، وهكذا .

٦ - أن تُلِحَّ في الدُّعاء ، وألاَّ تَسْتَعْجِل الإجابة . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : لا يَزالُ يُسْتَجابُ لِلْعَبْدِ ما لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، ما لَمْ يَسْتَعْجِلْ . قيل : يا رسولَ الله ، ما الاسْتِعْجَال ؟ قال : يقولُ : قَدْ دَعَوْتُ وقَدْ دَعَوْت ، فَلَمْ أرَ يَسْتَجِيبُ لي ! فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك ويَدَعُ الدُّعاء . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢٠٩٦ - رقم الحديث ٢٧٣٥) .

نعم ، فقد تحتاج أحيانًا إلى ملازمة دُعاء مُعَيَّن لفترة طويلة ، قبل أن يستجيب الله لك . فيجبُ ألاَّ تَمَلَّ ، لأنَّ الله أعلَم بما يَصلُح لك .

بقيَتْ ملاحظتان بخصوص الدُّعاء :

١ - احذر من الدُّعاء على نفسكَ أو على غيرك بمكْرُوه ! فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لا تَدْعُوا على أنفُسِكُم ولا تَدْعُوا على أوْلادِكُم ولا تَدْعُوا على أمْوالِكُم ، لا تُوَافِقُوا مِن الله سَاعَةً يُسْأَلُ فيها عَطَاءٌ ، فيَسْتَجِب لَكُمْ . (مأخوذ من حديث طويل - صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢٣٠١ - رقم الحديث ٣٠٠٦) .

وقد أغضَبَ ولَدٌ يومًا أمَّه ، فدَعَت عليه بالموت ، فما إن خرج من البيت حتَّى صَدَمَتْه سيَّارة ، فمات .

٢ - اعلَم أنَّك ربَّما تدعو أحيانًا بدعاء تستوفي فيه كلَّ الشُّروط التي ذكَرْناها ، ولكن مع ذلك ، لا يُحقِّقُ لك الله ما طَلَبْت . في هذه الحالة ، لا تحزن ولا يخِبْ ظنُّك . فدُعاءك لم يذهبْ أبدًا هدرًا ! فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ما مِنْ مُسلم يَدْعُو بدَعْوةٍ ليسَ فيها إثمٌ ولا قَطيعة رَحِم إلاَّ أعطاهُ الله بها إحْدَى ثلاث : إمَّا أن يُعجِّل له دَعْوَتَه (أي

في الدُّنيا) ، وإمَّا أن يَدَّخِرَها له في الآخرة ، وإمَّا أن يَصْرِفَ عنه من السُّوء مِثْلها .

قالُوا : إذًا نُكْثِرُ . قال : الله أكثر . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٣ - ص ١٨ - رقم الحديث ١١١٤٩) .

ما علينا إذًا إلاَّ الإكثار من الدُّعاء ، ولنُحْسِن الظَّنَّ بالله ، فإمَّا أن يَسْتَجيب لِدُعائنا ، وإمَّا أن يكْتُبَه حَسَنات لنا تنفعنا يوم القيامة ، وإمَّا أن يُبعِدَ به عنَّا مصائب كانت ستحلُّ بنا .

القاعدة الأولى إذًا لِحفظ الفَرْد المسلم من الانهيار أمام الشَّدائد ، هي : أن تستغلَّ نعمةَ الدُّعاء استغلالاً تامًّا ، فلا تنتظر أن تَحُلَّ بك مُصيبة لكي تسأل اللهَ أن يَرفعها عنك ، وإنَّما تدْعُو اللهَ في كلِّ وقت أن يُبعِدَ عنك الأمراضَ والدُّيون والهموم . وعندما يُصيبك شيءٌ من هذه الأمور ، عِوَضَ أن تستسلم للحُزن واليأس ، عليك أن تلتجئَ مباشرة إلى الله وتطلب منه العون .

التّوبة، بابٌ مفتوح على الدَّوام!

نعم ، بابٌ مفتوح لطلَب المغفرة مباشرة من الله . وبإمكان أيّ عبْد ، مهما كان وضعُه في المجتمع ، أن يقفَ بباب الله في أيّ وقت تائبًا ، دون أيّة وَساطة من أحد ، لا إمام مسجد ولا غيره . وهذا من رحمة الله بعباده ، وعَفْوه الذي لا حُدُود له .

ولا يَملكُ الإنسانُ إلاَّ أن يقفَ خاشعًا أمام عَظَمة الله ، ومَذْهُولاً أمام حِلْمه الكبير ، وهو يَرَى تَصرُّفات خَلْقه الذين لا يكادُون يُمثّلون شيئًا في مُلكه : البعضُ يَتطاوَلُ على جَلاله بالكلام الفاحِش ، وآخرون يَتحدَّوْنَه إن كان قادرًا أن يُنزِلَ عليهم عذابًا من عِنْده ، وآخرون يَدّعون أنَّ المسيح عليه السّلام هو ابنُه ، وهو سُبحانه لا يُعَجّلُ لهم العذاب ، ولو شاء

لأصابَهم على الفَوْر بالشَّلَل أو بالعَمَى أو غير ذلك ، ولكانَ ذلكَ عَدْلاً منه . ثمَّ هو لا يَقطعُ عنهم نِعَمَه العديدة ، مِن سمعٍ وبصرٍ ومطر وغير ذلك .

والأعجب من هذا أنَّه سُبحانه يَفرح بِمَنْ يعودُ منهم إليه تائبًا ، ولو بعد عشرات السِّنين من الجحُود والعِصْيان ! فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنَس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لَلَّهُ أشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِه ، حِينَ يَتُوبُ إليه ، مِنْ أحَدِكُمْ كانَ على راحِلَته بأرْضٍ فَلاَة (أي صحراء) ، فانفَلَتَتْ مِنْهُ وعلَيْها طَعامُه وشَرابُه ، فأيِسَ منها ، فأتى شَجَرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّها ، قد أيِسَ من راحِلَته ، فبَيْنَما هو كذلكَ إذَا هو بها قائمَةً عِنْدَه ! فأخَذَ بخطَامها ، ثمَّ قال من شِدَّة الفَرَح : اللَّهمَّ أنْتَ عَبْدِي وأنا رَبُّكَ ! أخطَأَ من شِدَّة الفَرَح ! (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢١٠٤ - رقم الحديث ٢٧٤٧) .

ما أحلَمَكَ ربِّي وما أعظمَك ! إنَّ الواحد منَّا إذا أساء إليه شخصٌ مَا ، لا يستطيع أن يَمْلِكَ نفسَه من الرَّدّ على الفَوْر بالكلام أو باليَد أو بالمقاطعة . وإذا طلبَ منه المسيءُ العَفو ،

فإنّه لا يَعفُو بسُهولة .

أمّا اللهُ سبحانه ، فإنّ حِلْمَه وعَفْوَه لا حدود لهما ! بل حتّى الطُّغاة الجبابرة يمكنُهم أن يَطْمعُوا في عَفْو الله ! فقد روى التّرمذي في سُنَنه عن ابن عبّاس رضي الله عنه ، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : لَمّا أغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ ، قال (أي فِرْعَوْن) : آمَنْتُ أنّه لا إلهَ إلاّ الذي آمَنَتْ به بَنُو إسْرائيل . فقال جِبْريل : يا مُحَمَّد ، فلَوْ رَأيْتني وأنا آخُذُ مِنْ حَال البَحْر فأدُسُّه في فِيه ، مَخَافَة أن تدْركَه الرَّحْمَة ! (الجامع الصّحيح سنن التّرمذي - الجزء ٥ - ص ٢٨٧ -رقم الحديث ٣١٠٧) .

نعم ، خافَ جبريلُ عليه السّلام أن يَتُوب فِرْعَوْنُ الطّاغية في آخر لَحْظَة من حياته فيَتُوب اللهُ عليه ويُدْخله في رَحْمَته !

لذلك ، فإنّ الكافر الذي يُريد الدُّخول في الإسلام ، لا ينبغي عليه أن يَقلقَ بسبب سيّئاته الماضية ، فالله سُبحانه يَمحُوها عنه حالَ نُطقه بالشّهادتين ! يقول تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٨- الأنفال ٣٨) .

ورَوَى الإمام أحمد في مسنده عن عَمْرُو بن العاص رضي الله

عنه ، قال : لَـمَّا أَلْقَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ في قَلْبي الإسْلام ، أَتَيْتُ النَّبيَّ صلَّى الله علـيه وسلَّم ، فبَسَـطَ يَدَه إليَّ ، فقلْتُ : لا أُبايِعُكَ يا رسولَ الله حتَّى تَغْفِرَ لي ما تَقَدَّم من ذَنْبِي . فقال : يا عَمْرُو ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ الهِجْرَة تَجُبُّ ما قَبْلَها من الذُّنُوب ؟! يا عَـمْرُو ، أمَـا عَلِمْـتَ أنَّ الإسْلاَمَ يَجُبُّ مـا كانَ قَـبْلَه من الـذُّنوب ؟! (مسـند الإمام أحمـد بن حنبل - الجزء ٤ - ص ٢٠٥ - رقم الحديث ١٧٨٦١) .

وبالنِّسبة للمسلم ، فقد فتح اللهُ له بابَ التَّوبة لِيُطهِّره بها من الذُّنـوب التي يقعُ فيها . يقول تعـالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُـوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُـوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَـنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُـدۡخِلَكُمۡ جَـنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِـهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ يَـوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّـذِيـنَ ءَامَنُـواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَـىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِمۡ يَقُـولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ (٦٦- التَّحريم ٨) .

لكن ، لكي يقبل اللهُ تـوبتك ، يَجب عليـك أن تـستوفي ثلاثة شروط ، وهي :

١ – أن تُقلع عن الذّنب الذي قُمتَ به .

٢ – أن تَندَمَ حقيقةً على فِعْله .

٣ – أن تعزمَ ألاَّ تعُود إليه .

وقد لَخَّص العُلَماءُ هذه الشُّروط الثَّلاثة في قَوْلِهم : التَّوبةُ النَّصُوح هي أن يُقْلِع المُذنبُ عن الذَّنْب في الحاضر ، ويَنْدم على ما سَلَفَ منه في الماضي ، ويَعْزم ألاَّ يَعُود إليه في المستقبل .

هذا إذا كان الذَّنْبُ بين العبد وربّه ، كأن شربَ الخمر أو شاهد الأفلام الخليعة أو غير ذلك . أمَّا إذا كانت المعصيَةُ تتعلَّقُ بإنسانٍ آخَر ، فإنَّ الله مِن عَدْلِه أنَّه لا يقْبَلُ توبةَ عَبْدِهِ إلاَّ إذا استَوفَى شرطًا رابعًا ، وهو :

٤ – أن يَرُدَّ الحقَّ إلى صاحبه ، أو يَعْفُو عنه هذا الأخير .

فإذا احْتالَ مثلاً على أحَدٍ أو سرقَ مالَه أو اعتَدَى على عرضه وشَرَفه ، فيجبُ أن يُعيدَ إليه حقَّه ويطلُب منه العفو .

حتَّى الحجّ ، لا يُسْقِطُ حَقَّ الغَيْر ! فالله سُبحانَه يَغْفرُ برَحْمَته وفَضْلِه لِمَنْ شاء من الحجّاج الذُّنوبَ التي اقْتَرفُوها في حَقّه . أمَّا إساءاتهم إلى الغَيْر ، فإنَّ الله سُبحانَه لا يَغْفِرُها

لهم حتَّى يَرُدُّوا المظالِم إلى أهلها .

فهلْ رأيتَ يا أخي أعْدَلَ من الله سُبحانه ؟!

أخيراً ، يجبُ عليك أن تُسارع بالتَّوبة من كُلِّ ذَنْب لأنَّك لا تدْري متَى يُباغتك الموتُ ، وحينئذ لا تُقْبَلُ توبتُك . يقولُ الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ ﴾ (٤- النساء ١٧-١٨) .

وروى التِّرمذي في سُنَنِه عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال : قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ، ما لَمْ يُغَرْغِرْ . (الجامع الصَّحيح سنن التِّرمذي - الجزء ٥ - ص ٥٤٧ - رقم الحديث ٣٥٣٧) . فالتَّوبةُ لا تُقْبَلُ إذًا عند الاحْتِضَار ، في لَحَظات الموت .

القاعدة الثَّانية إذًا لِحِفْظ الفَرْد المسلم من الانهيار أمام الشَّدائد ، هي : أن تُسارع إلى التَّوبة من المعاصي التي بينك

وبين الله ، وأن تَرُدَّ الحقوق إلى أصحابها إن كنتَ قد ظَلَمتَ غيرك .

وبهذا ، تقي نفسَك من مَصائب كانت رُبَّما ستحُلُّ بك بسبب معاصيك ، مثل حادث مرور بسبب شُربك للخمر ، عافاك الله ، أو مرضٍ خطير بسبب تعاطيك للزّنا ، أعزّك الله ، أو فَصْلك عن وظيفتك بسبب السَّرقة ، حفظك الله ، أو مصيبة أخرى بسبب دعوة مظلوم عليك .

ثمَّ إنَّك بالتَّوبة من ارتكاب المعاصي تُصبحُ أكثر قُدرة على الصَّبر على الشَّهوات ، وبالتَّالي أكثر قُدرة على مواجهة مصائب الحياة .

راض بقضاء الله وصابر على ابتلائه !

هكـذا يتقبَّل المسلمُ مصـائبَ الحياة ! فهو يُؤمن بأنَّها من تَقْدير الله ، وبـالتَّالي ليـس من حقّه أن يعترض علـى قضاء الله وقَدَره ! وحتَّـى إن سَخِطَ ، فإنَّه سُـرعان مـا يَعُود لِـرُشْدِه ويَسْتَغفِرُ رَبَّه ويَرْضَى بقَضَائه ويَصْبِرُ لِحُكْمِه .

وقد روى الإمـام مسلم في صحيحه عن صُهَيْب رضي الله عنه ، قـال : قال رسـولُ الله صلَّى الله عـليه وسلَّم : عَجَـبًا لأمْر المُؤمن ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّه خَيْرٌ ولَيْسَ ذَاكَ لأحَد إلاَّ للْمُؤْمن : إنْ أصَابَتْهُ سَـرَّاءُ شَكَر ، فكَـانَ خَيْرًا لَه ، وإنْ أصَـابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَـرَ ، فكَـانَ خَيْـرًا لَه ! (صحيح مـسلم - الجـزء ٤ - ص

٢٢٩٥ - رقم الحديث ٢٩٩٩) .

بينما الـذي لا يُؤمنُ باللهِ ولا باليـوم الآخر ، لا يجدُ إلى مَن يَلتَجئُ عند الشّدائد ، فيَنْهار ، وربَّما يَنْتَحر .

طبعًا ، الصَّبرُ على المصيبة لا يَـمْنَع من الحزْن والبكاء ، شَرْط أن يكـون ذلك بلا نُـواح ولا لَطْم للخـدّين ولا تَـمزيق للثّياب . فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أنَس بن مالك رضي الله عـنه ، أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم جعلتْ عَيْنـاه تَذْرفَان عـند مَوْت ابنه إبـراهيم صغيرًا ، فـقال له عبد الـرَّحمن بن عَوْف رضي الله عنه : وأنتَ يـا رسولَ الله (أي حتّـى أنتَ تبكي) ؟! فقال : يا ابـنَ عَوْف ، إنَّها رَحْمة . ثمَّ قــالَ : إنَّ العَيْـنَ تَـدْمَع ، والقَلْب يَحْـزَن ، ولا نَقُولُ إلاَّ مـا يُـرْضِي رَبَّنَا ، وإنّـا بفِرَاقِكَ يـا إبْراهيـمُ لَمَحْزُونُـون . (الجامع الـصَّحيح المخـتصـر - الجـزء ١ - ص ٤٣٩ - رقم الحـديث ١٢٤١) .

وروى الحاكم في مُـستدركه عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه ، قال : خرج النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم على جَنازة ومعه عُمر بـن الخطّاب ، فـسَمعَ نسـاءً يَبْكِين . فـزَجَرهُنَّ عُمـر ، فقال

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يا عُمر دَعْهُنَّ ، فإنَّ العَيْنَ دامعَة ، والنَّفسَ مُصابَة ، والعَهْدَ قَريب . (المستدرك على الصَّحيحين - الجزء ١ - ص ٥٣٧ - رقم الحديث ١٤٠٦) .

ويلجَأ المسلمُ عادةً ، عندما تَحلُّ به مصيبة ، إلى الصَّلاة ليَستمدَّ منها القوَّة النَّفسيَّة التي تعينُه على الصُّمود . يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٥٣) . وروى الإمام أحمد في مُسنده عن حُذَيفة رضي الله عنه ، قال : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا حَزَبَه أمْرٌ (أي اشتدَّ عليه أمرٌ أو نزلَتْ به شِدَّة) ، صَلَّى . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٥ - ص ٣٨٨ - رقم الحديث ٢٣٣٤٧) .

ويُقسِّم العلماءُ الصَّبرَ إلى ثلاثة أنواع : صَبْرٌ على تَرْكِ المحرَّمات والذُّنوب ، وصَبْرٌ على فِعْل الطَّاعات والخَيْرات ، وصَبْرٌ على المصائب والشَّدائد . وإنَّ من عَدْل الله مرَّة أخرى أنَّه يُجازي المسلمَ على صبره ، حتَّى وإن بَدَا لنا في الظَّاهر أنَّ الصَّبر ليسَ عملاً مُشاهَدًا ومَحسوسًا يَستحقُّ الجزاء .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد وأبي هُرَيْرة رضي الله عنهما ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ما يُصِيبُ المسْلِمَ من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ (أي مَرَض) ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غَمٍّ ، حتَّى الشَّوكة يُشاكُها ، إلاَّ كفَّرَ اللهُ بها من خَطَايَاه . (الجامع الصَّحيح المختصر - الجزء ٥ - ص ٢١٣٧ - رقم الحديث ٥٣١٨) .

وروى التِّرمذي في سُنَنه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما يزالُ البَلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنَة في نَفسِه ووَلَدِه ومَالِه ، حتَّى يَلْقَى اللهَ وما عَلَيْه خَطِيئَة ! (الجامع الصَّحيح سنن التِّرمذي - الجزء ٤ - ص ٦٠٢ - رقم الحديث ٢٣٩٩) .

وروى التِّرمذي أيضًا في سُنَنه عن أنَس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ عِظَمَ الجَزَاء مع عِظَم البَلاَء ، وإنَّ اللهَ إذَا أحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُم ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَط . (الجامع الصَّحيح سنن التِّرمذي - الجزء ٤ - ص ٦٠١ - رقم الحديث ٢٣٩٦) .

من الخَطَأ إذًا أن نظُنَّ أنَّ المصائب التي تنزلُ بالمسلم

الصَّادق هي دليلٌ على أنَّ الله يبغضُه أو أنَّه ليس على الدِّين الحقّ! فهي ، بالعكس ، ابتلاءاتٌ من الله ليَمْحُو بها عنه بعض ذُنوبه . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَ ٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَ ٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَ ٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (٢- البقرة ١٥٥-١٥٧) . ويقول تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَ ٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣٩- الزمر ١٠) .

القاعدة الثَّالثة إذًا لحفْظ الفَرْد المسلم من الانهيار أمام الشّدائد ، هي : أن تتلَقَّى كلَّ مُصيبة بالرِّضا والصَّبر ، وتنظُر إليها على أنَّها ابتلاءٌ من الله تعالى لك ليَختبر درجة إيمانك وثقتك به .

فهل سمعتَ يا أخي الكريم عن طريقة للوقاية من الأزمات النَّفسيَّة أفضل من الالتجاء إلى الله بالدُّعاء ،

والإقلاع عن ارتكاب المعاصي ، وتقبُّل المصائب بالرّضا والصَّبر ؟!

لا ، ليس هناك أفضل من هذه الطُّريقة ! وعندما غابتْ هذه القِيَم عن مناهج التَّربية في المجتمعات الغربيَّة خاصَّة ، وتَرَفَّع الفردُ في هذه المجتمعات عن الالتجاء إلى الله ، أصبح إنسانًا هَشًا ، ينكسرُ عند أقلّ مصيبة ، فينعزلُ عن النَّاس ويستسلم للهواجس والمخاوف ، أو يغرق في شرب الحبوب المهدّئة أو الخمر أو المخدّرات ، أو يُحاول الانتحار !

هكذا يبني الإسلام مجتمعًا صالحًا

بعد أن رأينا يا أخي الكريم كيف يبني الإسلامُ الفرْدَ المسلِم على أُسُس ثابتة لكي يُصبح إنسانًا صالحًا ، سنرَى الآن كيف يبني الإسلامُ مجتمعًا سليمًا يَسُوده الأمنُ والنّظام والتّعاون والمحبّة .

طبعًا ، لا يَصلُح المجتمَع إلاّ بصلاح أفراده . وإذا كان الإسلام قد ركّز في بنائه للفرد المسلِم على تحسين علاقة هذا الفرد بالله ، فإنّه يُركّز في بنائه للمجتمع على تحسين علاقة كلّ فرد فيه بغيره من النّاس ، مهما كانت معتقداتهم .

لِنَرَ معًا كيف يكون ذلك :

القرآن والسُّنَّة هما المرجع الأوَّل لتنظيم الحياة في المجتمع

نعم ، لا بُدَّ أن تكون القوانينُ التي يسير عليها المجتمع ويخضعُ لها كلُّ أفراده ، مُستمدَّة من القرآن الكريم ومن أقوال نبيِّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وأفعاله . تسأل لماذا ؟

أمَّا القرآن : فلأنَّ اللهَ تعالى شهد له بأنَّه حقٌّ لا ريب فيه . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٤١- فصِّلت ٤١-٤٢) .

وهناك العديد من الكتب تتحدَّث عن إعجازه العلمي

والبلاغي (انظر مثلاً كتابي : " إلى الذي سأل : أين الله ") ، مِمّا يُؤكّد أنّه وحيٌ من عند الله ، وأنّه لم يَدْخُل عليه أيّ تحريف كما دخَلَ على التّوراة والإنجيل . فهو إذًا مرجعٌ موثُوق به .

وأمّا السُّنَّة : وهي أقوالُ نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأفعاله ، فلأنّ اللهَ شَهِد لنبيّه بأنّه لا ينطقُ إلاّ بالحقّ ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ (٥٣- النّجم ٣-٤) ..

وأعلنَ أنّ مَنْ أطاعه فقد أطاع الله ، فقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝ ﴾ (٤- النّساء ٨٠) .

وأمَرَ المسلمينَ باتّخاذه قُدْوَة لهم ، فقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ (٣٣- الأحزاب ٢١) .

ولأنّ عائشة رضي الله عنها ، زوجة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، شهدتْ له بأنّ تصرّفاته مُوافقة تمامًا

لِتَوجيهات القرآن . فقد روى الإمام أحمد في مُسنده عن سعد بن هشام رضي الله عنه ، قال : سألتُ عائشة فقلتُ : أخبِريني عن خُلُق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالتْ : كان خُلُقه القرآن . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٦ - ص ١٦٣ - رقم الحديث ٢٥٣٤١) .

ولأنَّ نبيّنا محمَّدًا صلّى الله عليه وسلّم أكّد أنّه لا يقولُ إلاّ حقًا . فقد روى الحاكم في مُستدركه عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدّه ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، أتأذنُ لي فأكتُب ما أسمعُ منك ؟ قال : نعم . قلتُ : في الرِّضَا والغَضَب ؟ قال : نعم ، فإنّه لا يَنْبغي أن أقول عند الرِّضَا والغضب إلاّ حقًا . (المستدرك على الصَّحيحين - الجزء ٣ - ص ٦٠٦ - رقم الحديث ٦٢٤٦) .

وروى الإمام أحمد في مُسنده عن أبي هُريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنّي لا أقولُ إلاّ حقًا . فقال بعضُ أصحابه : فإنّك تُداعِبُنا يا رسولَ الله ! فقال : إنّي لا أقولُ إلاّ حقًا . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٢ - ص ٣٤٠ - رقم الحديث ٨٤٦٢) .

فالسُّنَّة إذًا هي أيضًا مرجعٌ موثوقٌ به .

وأمّا الرُّجوع إلى القرآن والسُّنَّة لتنظيم الحياة في المجتمع ، فلأنَّهما يحتويان على توجيهات الخالق إلى خلقه في كلّ الأمور ! يقول تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١٦- النّحل ٨٩) . وطبعًا ، توجيهاتُ الخالق ، وهو اللهُ سبحانه وتعالى ، يجبُ أن تكون المرجع الأوّل لعبَاده ، لأنَّه هو الذي خلَقَهم وهو أعلَمُ بما يَصْلُح لهم . أم أنَّ لك رأيًا آخر ؟!

يقول تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (٦٧- الملك ١٤) . ويقول تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (٤- النّساء ٥٩) .

وإذا كنت تظنّ يا أخي أنّ الإسلام ، الذي هو تطبيقٌ للقرآن والسُّنَّة في الحياة اليوميّة ، هو صلاةٌ وصيامٌ وزكاةٌ وحجٌّ فقط ، فأنت على خطأ . إنّه أشملَ من ذلك بكثير . بل إنّه

لم يتركْ شيئًا صغيرًا ولا كبيرًا من ميادين الحياة إلاَّ ونَظَّمه .

فهو نظَّمَ علاقةَ الإنسان بربِّه ، وعلاقته بأسرته ، وعلاقته بأقاربه وجيرانه وعلاقته بالنَّاس عمومًا ، ونظَّم البيعَ والشِّراء ، ومنع الاحتكار والرِّشوة والتَّعامل بالرِّبا ، وفرض الزَّكاة وحثَّ على الصَّدقة ، وقسَّم الميراث تقسيمًا دقيقًا يعجزُ عُلماء هذا العصر أن يأتوا بمثله ، ووضع أسُسًا للقضاء ، وحدَّد العقوبات ، وبيَّن حقوق وواجبات كلِّ فرد تُجاه المجتمع ، وربطَ الأخلاقَ بالمعاملات ، فلا ينجحُ بيعٌ ولا حُكْمٌ ولا عِلْمٌ إلاَّ بحُسْن الخُلُق .

وإذا كانت الأنظمة البشريَّة المختلفة ، من رأسماليَّة وشيوعيَّة واشتراكيَّة وغيرها ، لم تستطع إلى اليوم أن تُوفِّر الحدَّ الأدنى من الأمن والاستقرار النَّفسي والمادِّي لأفراد مجتمعاتها ، فإنَّ النِّظام الإسلامي عندما طُبِّق في عصر نبيِّنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم وفي عهد الخلفاء الرَّاشدين من بعده ، استطاع بالفعل أن يُؤلِّف بين قبائل من العرب ، كانوا شديدي الطِّباع ، مُتعادين فيما بينهم ، تشتعل الحروب بينهم لأتفه الأسباب . يقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣- آل عمران ١٠٢-١٠٣) .

واستطاع أن يُنظّم حياتَهُم في ظِلّ مَقاييس جديدة تُساوي في الإنسانيّة بين الغنيّ والفقير ، بين المرأة والرّجل ، بين العبد والسّيّد ، وتجعلُ الأفضليّة لبعضهم على بعض : فقط بالعمل الصّالح . يقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤٩- الحجرات ١٣) .

واستطاع أن يُكوّن بهم مجتمعات تسُودها العدالةُ والأمن والتّحابب .

والله ليس هذا مجرّد كلام ، وإنّما هو واقعٌ سجّلته كُتُبُ

التّاريخ . وقد ذكرْنا أنَّ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لَمَّا حكَم بتَعاليم الإسلام ، فاضَ المالُ في المجتمع حتّى أصبح الغنيُّ يُخرجُ الزّكاة فلا يجدُ أحدًا يَقبَلُها !

وروى أبو العبّاس أحمد بن خالد النّاصري ، نقلاً عن كتابه الاستقصا لِدُول المغرب الأقصى ، مع تصرّف بسيط في سَرْد الحادثة ، قال : في سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) ، جيء إلى عمر بن الخطّاب بالهرمزان ، ملك الأهواز ، أسيرًا ومعه وَفْدٌ فيهم أنَس بن مالك والأحنف بن قَيْس . فلمّا وَصلُوا به إلى المدينة ألْبَسُوه كِسْوَتَه من الدّيباج المذَهَّب ، ووضَعُوا على رأسه تاجهُ وهو مُكَلَّلٌ بالياقُوت ، ليَراه عُمَر والمسلمون على هَيْئَته التي يكون عليها في مُلْكه . فطلَبُوا عُمَر فلَم يَجدُوه . فسألُوا عنه ، فقيل : هو في المسجد . فأتَوْه ، فإذا هو نائم ، فجلَسُوا دُونه . فقال الهرمزان : أين هو عُمَر ؟! قالُوا : هو ذا ، قال : فأين حَرَسُه وحُجّابُه ؟! قالُوا : ليس له حارسٌ ولا حاجب . فنظر الهرمزان إلى عُمر ، وقال : عدلْتَ ، فأمنتَ ، فنمْتَ !

هل تدري يا أخي الكريم مَن هو عُمر هذا ؟

إنَّه أميـر المؤمنين عمر بن الخـطَّاب ، الذي كان يحكُم في حوالي نصف الكرة الأرضيَّة ، من السّعوديَّة شرقًا إلى المغرب الأقـصى غربًا ! جاءه أحـد الملوك أسيرًا مهزومًـا ، وكان ينتظر أن يجده في قـصر كبير محاطًا بالحـرس والخدَم ، فوَجده نائـمًا على الأرض في المسجد !

قـال أبو العبَّاس : وسـنة ثمان عـشرة للهجرة (٦٣٩ م) ، كانت مجـاعة الـرّمادة وطـاعون عـمواس ، فحلَف عُـمر (بن الخطّاب) لا يذوق السّمن واللّبن حتّى يشبع النَّاس .

وذكـر ابنُ كثير هـذه الحادثة في كـتابه البدايـة والنّهاية ، فقال : وكـان أمير المؤمنين عمـر بن الخطَّـاب رضي الله عنه يَضرب بطْنَه عامَ الـرّمادة ، ويقـول : قَرْقـري إن شـئت أو لا تُقَرْقِري ، فوَالله لا ذاق عُمـر سمنًا ولا سـمينًا حتَّى يخصب النَّاس !

لا تعجـب يا أخي الكـريم ، فعُمَر هـذا هو أحـد خرّيجي مدرسـة نبيّنا محـمَّد صلّى الله عليه وسلّـم الذي هـو قُدوة المسلمين في كلّ شيء وفي كلّ عصر . وعنـدما سار المسلمون الأوائل حسـب توجيهات الله تعالى من خلال القرآن الكريم ،

وتوجيهات نبيّه الصّادق الأمين من خلال أقواله وأفعاله ، عندما طبّقوا الإسلامَ في البيع والشّراء والحكْم والإدارة والقضاء ، وفي الدّراسة والعمل ، وفي الأكل والشُّرب والنّوم ، مَلأوا الدُّنيا أمنًا وعدلاً .

القاعدة الأولى إذًا لبناء مجتمع صالح ، هي : أن يكون القرآن الكريم وسُنَّة نبيّنا محمَّد صلّى الله عليه وسلَّم ، هما المرجع الأعلى للمجتمع في كلّ الأمور .

الإحسان إلى الوالدين ، من أوجب الواجبات !

ربّما تقـول يا أخي : وما دخْلُ الإحسـان إلى الوالدين في بناء مجتمع صالح ؟!

أقول : لأنَّ صلاحَ المجتمع بصلاح أفراده . وإذا لـم يُحسن الفردُ إلـى أقرب النَّاس إليه ، وهما والداه اللَّذان أنجباه وتَحمَّلا كلَّ المتـاعب لإيصاله إلـى ما وَصل إليه ، إذا لم يعـترف لهما بهذا الـفَضْل فلا خير فيـه ، ولا تنتظـر منـه أن يكون عـضواً صالحا في المجتمع .

لهذا ، نجد العديد من الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة تُوصي بالإحسان إلى الوالدين ، وتحذّر من عقُوقهما .

يقول الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (١٧- الإسراء ٢٣-٢٤) .

ويقول تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣١- لقمان ١٤-١٥) .

نعم ، حتّى لو لم يكن الوالدان مسلمَيْن يجبُ الإحسان إليهما طيلة حياتهما . فقط ، لا ينبغي طاعتهما في الأوامر التي فيها معصية للّه . بل إنّ الإحسان إلى الوالدين يتواصلُ حتّى إلى ما بعد موتهما ! فقد روى الإمام أحمد في مُسنَده

عن أبي أُسَيْد (هو مالك بن ربيعة السَّاعدي) رضي الله عنه ، قال : بينما أنا جالسٌ عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، إذ جاءه رجلٌ من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، هل بَقِيَ عليَّ من بِرِّ أبَوَيَّ شيءٌ بعد موتهما أبرُّهُما به ؟ قال : نعم ، خِصالٌ أربعة : الصَّلاة عليهما (أي الدُّعاء لهما) والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما (أي قضاء ديونهما وعهودهما) ، وإكرام صديقهما ، وصِلَة الرَّحِم التي لا رَحِمَ لكَ إلاَّ من قِبَلِهما ، فهو الذي بَقِيَ عليكَ من برِّهما بعد مَوتهما . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٣ - ص ٤٩٧ - رقم الحديث ١٦١٠٣) .

وأمَّا عن التَّحذير من عقوق الوالدين ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي بكرة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ألا أُخبرُكم بأكبر الكبائر ؟ قالُوا : بَلَى يا رسولَ الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقُوق الوالدين . وكان متَّكِئًا فجلسَ ، فقالَ : ألاَ ، وقَولُ الزُّور .

فمَا زال يُكرِّرُها حتَّى قُلْنا : لَيْتَه سكَت ! (الجامع الصَّحيح المختصر - الجزء ٥ - ص ٢٣١٤ - رقم الحديث ٥٩١٨) .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : رَغِمَ أنْف ، ثمَّ رَغِمَ أنْف ، ثمَّ رَغِمَ أنْف ! قيلَ : مَنْ يا رسولَ الله ؟ قالَ : مَنْ أدْرَكَ أبَوَيْه عِنْدَ الكِبَر ، أحَدَهُما أو كِلَيْهما ، فلَم يَدْخُل الجنَّة! (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ١٩٧٨ - رقم الحديث ٢٥٥١) . نعم ، إنَّ الأحمق فعلاً هو الذي يُفتحُ له بابٌ عظيمٌ لِنَيْل الأجر عن طريق الإحسان إلى أمِّه وأبيه ، فلا يَدخُلُه ، ويُغلِقُ بذلك في وجهه بابًا من أبواب الجنَّة .

وقد روى النَّسائي في السُّنن الكبرى عن معاوية بن جاهمة السَّلمي رضي الله عنه ، أنَّ جاهمة جاءَ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله ، أردتُ أن أغْزُو ، وقد جئتُ أستشيرُك .

فقال : هل لكَ مِنْ أُمّ ؟ قال : نعم .

قال : فالْزَمْها ، فإنَّ الجنَّةَ عند رجْلَيْها ! (السّنن الكبرى - الجزء ٣ - ص ٨ - رقم الحديث ٤٣١٢) .

ومِنَ المخجِل والعار حقًا أن يُوضَع أباءٌ وأمَّهاتٌ في ديار المسنِّين ، وأبناءُهم على قيد الحياة ! ومِنَ اللُّؤم والجحُود حقًا

أن يهنأ الابنُ بطيب العيش في بيته ، وأمُّه لا تجدُ ما تأكلُه في بيتها ! بل قد تموتُ من البرد أو من الحرّ أو من المرض ، ولا يسمع ابنُها بالخبر إلاّ بعد أيّام أو ربّما بعد سنوات ، لأنّه ببساطة لم يكن يهتمّ بالسُّؤال عنها !

القاعدة الثّانية إذًا لبناء مجتمع صالح ، هي : أن يحرصَ كلُّ فَرْد فيه على الإحسان إلى والديه إلى آخر لحظة في حياتهما ، وألاّ يُفضّلَ عليهما زوجتَه ولا أولادَه .

كلُّ النَّاس لهم حقوق عليك !

فاسألْ عنها قبل أن تَسألَ عن حقوقك ! وإذا كان أغلَبُنا لا يعرف عن حقوق الآخرين سوى : العاشرة ، احترام الجار ! العاشرة ، احترام النَّائم ! فإنَّ الإسلام وضعَ حقوقًا تقريبًا لكلِّ فئات المجتمع ، تعجز عن صياغتها جمعيَّات حقوق الإنسان في العصر الحديث !

لنَبدأ بحقوق الجار ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا

فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٤- النّساء ٣٦) .

قال ابن عبّاس وغيره من فُقهاء الصّحابة : الجار ذي القُربَى هو الذي بينك وبينه قَرابة ، والجار الجُنُب هو الذي ليس بينك وبينه قَرابة . فهل اشْتَرطَت الآيةُ أن يكون الجارُ مسلمًا للإحسان إليه ؟

أبدًا ! فسَواءً كان هذا الجار مسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا أو غير ذلك ، فإنَّ له عليك حقّ الإحسان إليه .

وقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما زالَ جبريلُ يُوصِيني بالجار حتّى ظننتُ أنّه سَيُوَرّثُه ! (الجامع الصّحيح المختصر - الجزء ٥ - ص ٢٢٣٩ - رقم الحديث ٥٦٦٩) .

وروى الإمام البخاري أيضًا في صحيحه عن أبي شريح ، وقيل عن أبي هُرَيرة ، رضي الله عنهما ، أنَّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال : والله لا يُؤمنْ ، والله لا يُؤمنْ ، والله لا يُؤمنْ ! قيلَ : مَنْ يا رسولَ الله ؟ قال : الذي لا يَأْمنُ جارُه بَوائِقَه (أي شُرورَه) . (الجامع الصّحيح المختصر - الجزء ٥ -

ص ٢٢٤٠ - رقم الحديث ٥٦٧٠) .

وروى الإمام أحمد في مُسْنده عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأصحابه : ما تقولون في الزِّنا ؟ قالُوا : حرَّمَه الله ورسولُه ، فهو حرامٌ إلى يوم القيامة . فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : لأَنْ يَزْني الرَّجلُ بعَشْرِ نِسْوَة أيْسَر عليه من أن يَزني بامرأة جاره .

قال : ما تقولُون في السَّرقة ؟ قالُوا : حرَّمَها الله ورسولُه ، فهي حرامٌ (إلى يوم القيامة) . قال : لأَنْ يسرق الرَّجلُ من عشرة أبيات (أو بيوت) أيْسَر عليه من أن يَسرق من (بيت) جاره . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٦ - ص ٨ - رقم الحديث ٢٣٩٠٥) .

وروى الحاكم في مُستدركه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، قال : قيل لِلنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ فلانة تصوم النَّهار (أي كثيرة الصِّيام تطوّعًا) وتقوم اللَّيل (أي كثيرة الصَّلاة باللَّيل تهجُّدًا) ، وتُؤذي جيرانها بلسانها ؟

فقال : لا خير فيها ، هي في النَّار .

قيل : فإنَّ فلانة تصلّي المكتوبة (أي الصّلوات المفروضة فقط) وتصوم رمضان (فقط) وتتصدّق بأثوار من إقط (أي من الجبن) ، ولا تؤذي أحداً بلسانها ؟

قال : هي في الجنَّة . (المستدرك على الصّحيحين - الجزء ٤ - ص ١٨٤ - رقم الحديث ٧٣٠٥) .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا أبا ذرّ ، إذا طبختَ مَرْقَةً فأكْثِرْ ماءَها ، وتعاهَدْ جيرانَك . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢٠٢٥ - رقم الحديث ٢٦٢٥) .

وليس حقُّ الجار فقط في عدم إيذائه ، وإنَّما كذلك في الصّبر على أذاه !

أمَّا الإحسانُ إليه ، فيَشمل : دَوام السُّؤال عن حاله ، ومساعدته في قضاء حوائجه ، والوقوف معه عند الشّدائد ، وعيادته إذا مرض ، وحفظه في بيته وأهله عند غيابه ، وعدم فضحه أمام غيره إذا أخطأ ، وإسداء النُّصح إليه إذا دعت الحاجة لذلك ، والتّلطُّف مع أطفاله في الكلام ، وإذا اشتريتَ فاكهة أن تُهدي له منها ، وإن لم تفعل فلا تُعطِ ولَدك يأكلُ

منها أمام ولده فيغيظه بها .

وكما أوصى الإسلام بالإحسان إلى الجار ، فقد أوصى أيضًا بالإحسان إلى الأقارب ومواصلتهم . يقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١٣- الرّعد ١٩-٢٤) .

طبعًا ، صِلَةُ الرّحِم تعني : زيارة الأقارب ، والسُّؤال عن حالهم باستمرار ، والوقوف معهم في الأفراح والأحزان . وهذا العمل يُطيلُ العُمر ويجلبُ الرّزق ! فقد روى الإمام

البخاري في صحيحه عن أنَس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : مَنْ أحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزْقه ويُنْسَأ له في أَثَره (وفي رواية للحاكِم عن عاصِم : ويَمُدَّ الله في عُمره) ، فَلْيَصِلْ رَحِمَه . (الجامع الصَّحيح المختصر - الجزء ٥ - ص ٢٢٣٢ - رقم الحديث ٥٦٤٠) .

أمَّا التَّهاون في القيام بهذا الواجب ، فيجلبُ غضبَ الله سبحانه . فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، قالتْ : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الرَّحِمُ مُعَلَّقةٌ بالعَرْش ، تقولُ : مَنْ وَصَلَني وَصَلَه الله ، ومَنْ قَطَعَني قطَعَه الله . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ١٩٨١ - رقم الحديث ٢٥٥٥) .

بل إنَّ صِلَة الرَّحِم واجبةٌ حتَّى إذا قطَعَها الطَّرفُ الآخر . فقد روى الإمام أحمد في مُسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ الرَّحِم مُعَلَّقةٌ بالعَرْش ، ولَيْسَ الواصِلُ بالمكافِئ ، ولكنَّ الواصِلَ الذي إذا انقطعَتْ رَحِمُه وَصَلَها . (مسند الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٢ - ص ١٦٣ - رقم الحديث

٦٥٢٤) .

وأمّا عن حقوق بقيّة أفراد المجتمع عليك ، فقد روى الحاكم في مستدركه عن أبي ذَرّ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا أبا ذَرّ ، اتّقِ اللهَ حيثُ كُنْتَ ، وأتبِعِ السّيّئَةَ الحسَنَةَ تَمْحُها ، وخالِقِ النّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ . (المستدرك على الصّحيحين - الجزء ١ - ص ١٢١ - رقم الحديث ١٧٨) .

كلُّ النّاس إذًا ، سواء كانُوا في مجتمعك أو في مجتمع آخر ، وسواء كانُوا مسلمين أو مسيحيّين أو يهودًا أو غير ذلك ، لهم عليكَ حقّ المعاملة بخُلُق حَسَن ، فلا تُسيء إليهم ولا تغشّهم ولا تكذب عليهم ، بل تبتسمُ في وجوههم وتقدّم لهم ما تستطيع من مساعدة .

القاعدة الثّالثة إذًا لبناء مجتمع صالح ، هي : أن يحرصَ كلُّ فرد فيه على القيام بواجباته نحو الآخرين ، قبل أن يُطالبهم بحقوقه عليهم .

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فرضٌ على كلّ فرد في المجتمع !

حديثٌ عظيمٌ لنبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم يُوضّحُ كلَّ شيء : روى الإمام البخاري في صحيحه عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال : مَثَلُ القائم على حدود الله (أي النّاهي عن المعصية) والواقع فيها ، كمَثَل قَوْم استَهَمُوا (أي اقْتَرَعُوا) على سفينة ، فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسْفَلَها . فكان الذين في أسْفَلها إذا اسْتَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فَوْقَهم (فآذَوْهم بالمرور عليهم بالماء) ، فقالُوا : لو أنَّا خرقْنَا في نَصِيبنا خَرْقًا ولم نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنا ! فإن يَتْركُوهم وما أرادُوا هلَكُوا جميعًا ، وإن أخذُوا على

أيديهم (أي مَنَعُوهم من خَرق السَّفينة من الأسفل) نَجَوْا ، ونَجَوْا جميعًا . (الجامع الصّحيح المختصر - الجزء ٢ - ص ٨٨٢ - رقم الحديث ٢٣٦١) .

لو عرضْنَا أغلبَ المجتمعات اليوم على هذا الحديث ، لَوجدنا أنَّ الصُّورة الأولى هي التي تنطبق عليها . أي أنَّ البعض يقومون بعملٍ سيّئ ، فيسكتُ عنهم البعض الآخر ، فيَهْلَك الكُلّ .

واجبٌ إذًا على كلّ أفراد المجتمع أن يَستشعُروا أنَّ سلامة مجتمعهم هي مسؤوليَّتهم جميعًا . كلُّهم مُطالَبون بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، في البيت وفي الشَّارع وفي المدرسة وفي العمل . فإذا تَمَّ هذا ، فلن تغرق سفينةُ المجتمع ما دام كلُّ ركَّابها يتناصحُون في كلّ مكان وفي كلّ وقت .

ويومَ تخلَّت المجتمعاتُ الغربيّة خاصّة عن هذه المسؤوليَّة بدعْوَى أنَّها تَدخُّلٌ في الحرّيَّة الشَّخصيَّة للأفراد ، غرقَت عندئذ في مشاكل لها أوَّل وليس لها آخر ، وفلتَ الزّمامُ من أيدي الأولياء والمدرّسين والحكَّام ، ولم تُفِدْ أيَّة وسيلة في إصلاح الأمر .

لهذا ، شدَّد الإسلامُ على وجوب القيام بهذه المسؤوليَّة .

فقد روى أبو داود في سُنَنه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : إنَّ أوَّلَ ما دخلَ النَّقصُ على بني إسرائيل أنَّه كان الرَّجلُ يَلْقَى الرَّجلَ فيقول : يا هذا ، اتَّقِ الله ودَعْ ما تَصْنَعْ فإنَّه لا يَحِلُّ لَكَ . ثمَّ يَلْقَاهُ من الغَد ، فلاَ يَمْنَعُه ذلك أن يكونَ أكيلَه وشريبَه وقعيدَه ! فلمَّا فعلُوا ذلك ، ضربَ الله قلوبَ بعضهم ببَعض .

ثمَّ قال (أي ذكَر النَّبيُّ قول الله تعالى) : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٥- المائدة ٧٨-٨١) .

ثمَّ قالَ (أي النَّبيّ) : كلاَّ ، وَالله لَتَأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ

عن المنكَر ، ولَتَأخُذُنَّ على يَدَي الظّالِم ولَتأطرُنّه على الحقّ أطْرًا ، ولَتَقْصرُنّه على الحقّ قصرًا . (سنن أبي داود - الجزء ٤ - ص ١٢١ - رقم الحديث ٤٣٣٦) .

وروى التّرمذي في سُنَنه عن حُذَيْفة بن اليمان رضي الله عنه ، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : والّذي نَفسِي بيَدِه ، لَتَأمُرُنّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنّ عن المنكَر ، أو لَيُوشكَنّ الله أن يبعثَ عليكُم عقابًا منه ، ثمّ تَدْعونَه فلا يُسْتجابُ لكم . (الجامع الصّحيح سنن التّرمذي - الجزء ٤ - ص ٤٦٨ - رقم الحديث ٢١٦٩) .

طبعًا ، شرطٌ أساسي لِمَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : أن يبدأ بنفسه ! يقول الله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (٢- البقرة ٤٤) . ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ (٦١- الصّف ٢-٣) .

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أسامةِ بن زيد رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

يقولُ : يُؤتَى بالـرَّجُل يومَ القيامة ، فيُلْـقَى في النَّار ، فتَنْدَلِقُ أقتابُ بَـطْنِه (أي تخرجُ أمعـاءه من بطـنه) ، فيَدُور بهـا كما يَدُور الحِمـارُ بالرَّحَـى . فيَجتمعُ إليـه أهلُ النَّار ، فيـقُولُون : يـا فُلان ، مـا لَكَ ؟! ألَـمْ تَكُن تـأمُـرُ بـالمعـروف وتنهَـى عن المنكـر ؟! فيقُولُ : بَلَـى ، قد كـنتُ آمرُ بـالمعروف ولا آتيه ، وأنْهَـى عن المنكـر وآتيه . (صحـيح مسلـم - الجزء ٤ - ص ٢٢٩٠ - رقم الحديث ٢٩٨٩) .

القاعدة الرَّابعة إذًا لبناء مجتمع صالح ، هي : أن يحرصَ كلُّ فرد فيه على أن يـأمر بالمعروف وينهـى عن المنكر ، حتَّى لا يغرقُوا جميعًا .

هكذا يغيّر الإسلامُ نفوسًا حارَ الكُلُّ في تغييرها !

نعم ، الإسلام هو النّظام الوحيد الذي يستطيع أن يُؤثّر إيجابيًا على النّفس البشريّة في وقت قصير .

وإذا كانت الأنظمة الأخرى تحتاج إلى حَمَلات تَوْعية عديدة ، وإعلانات في وسائل الإعلام ، ومناقشات طويلة ، لتَنبيه النّاس إلى أهمّيّة النّظافة مثلا ، أو مضارّ التّدخين أو الخمر ، أو لإقناع التّلميذ بوجوب الاجتهاد في دراسته والعامل بوجوب الإخلاص في عمله ، أو لدَعوة الشّباب إلى عدم العَبث بالممتلكات العامّة ، أو لحَثّ الأغنياء على التّصدّق على الفقراء أو القيام بمشاريع خيريّة ، إذا كانت

الحكوماتُ أو المؤسّساتُ تبذلُ في هذا المجال الكثير من الوقت والجهد ولا تصلُ إلى نتيجة مرضيّة ، فإنَّ الإسلام يستطيع بجُملة واحدة أن يغيّر في وقت قصير ما عجز عنه غيره !

واللهِ ليس هذا مجرّد كلام ، وإنّما هو حقيقةٌ تعيشُها الأوساطُ الإسلاميّةُ يوميًا . والسرُّ في ذلك يكمنُ في أنَّ الإسلام يُربّي المسلمَ منذ صِغَرِه على حُبِّ الله ورسوله أكثر من أيِّ شيء ، والثّقة التّامّة بهما ، بحيثُ إذا سمعَ : قالَ الله أو قالَ الرّسول ، تيقّنَ في الحال أنَّ في ذلك القول مصلحته في الدّنيا والآخرة ، وأنّه إذا امتثلَ لِما سمع فسَيَجني من وراء ذلك رضاءَ الله وحُسن ثوابه ، وإذا عصَى ولم يتُب فسيُعرّض نفسَه لغضب الله وسوء عقابه .

لهذا ، عندما حاولَ رئيسٌ أمريكي سابقٌ مَنْعَ بيع الخمر في بلاده ، ثار الشّعب ضدّه .

بينما عندما نزل الأمرُ الإلهي للمسلمين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى

ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٥- المائدة ٩٠-٩١) ، عندما نزلت هذه الآيات إذًا ، قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : انتهَيْنا ، انتهَيْنا .

وروى الإمام البخاري في صحيحه عن أنَس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنتُ أسقِي أبا طلحة الأنصاري وأبا عُبَيْدة بن الجرّاح وأُبَيّ بن كعب شرابًا من فضيخ ، وهو تمرٌ (أي شرابٌ يُتَّخذ من التَّمر) ، فجاءهُم آتٍ فقال : إنَّ الخمْرَ قد حُرِّمَتْ . فقال أبو طلحة : يا أنَس ، قُمْ إلى هذه الجِرَار فاكْسِرْها .

قال أنَس : فقمتُ إلى مهراس لنا ، فضربْتُها بأسفله حتَّى انكَسَرتْ . (الجامع الصَّحيح المختصر - الجزء ٦ - ص ٢٦٤٩ - رقم الحديث ٦٨٢٦) .

نعم ، عندما نزلَ أمرُ الله ، امتثلَ المسلِمُون على الفَوْر .

ولا تظُنّي يا أختي الفاضلة أنَّ هذا الامتثال لأوامر الله وأوامر رسوله يكُون مصحوبًا عادةً بتأفُّف وسَخَط . أبدًا ! بل يكون عن رِضًى وطواعية .

مثال ذلك : ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عبَّاس رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم رأى خاتمًا من ذهَب في يَدِ رجُل ، فنَزَعَه فطَرَحَه (لأنَّ لُبْسَ الذَّهب حرامٌ على الرَّجُل ، حلالٌ على المرأة) ، وقال : يَعْمدُ أحدُكُم إلى جَمْرَةٍ من نار فيجْعَلُها في يَدِه ؟!

فقيلَ للرَّجُل بعدما ذَهَبَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : خُذْ خاتَمَكَ ، انتَفِعْ به (أي بِعْهُ وانتَفعْ بثَمَنه) .

قال : لا والله ، لا آخُذُه أبدًا وقد طرَحهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ! (صحيح مسلم - الجزء ٣ - ص ١٦٥٥ - رقم الحديث ٢٠٩٠) .

سِرٌّ آخر يَكمُنُ وراء قُدرة الإسلام العجيبة على تغيير النَّفس البشريَّة بسُرعة ، هو أسلوبُه الفريد في التَّخاطب معها .

مثال ذلك : ما رواه البَيْهَقي في سُنَنه عن عبد الله الصَّنابحي رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إذا تَوَضَّأ العبدُ فمَضْمَض ، خرجَت الخطايا من فِيه . فإذا اسْتَنْثر ، خرجَت الخطايا من أنفه . فإذا غسلَ وَجْهه ، خرجَت الخطايا من وَجْهه حتَّى تَخرج من تحت

أشفار عَيْنَيْه . فإذا غسلَ يَدَيْه ، خرجَت الخطايا من يَدَيْه حتَّى تَخرج من تحت أظفار يَدَيْه . فإذا مسحَ برَأسه ، خرجَت الخطايا من رأسه حتَّى تَخرج من أُذُنَيْه . فإذا غسل رجلَيْه ، خرجَت الخطايا من رجلَيْه حتَّى تَخرج من تحت أظفار رجلَيْه . ثمَّ كان مَشْيُه إلى المسجد وصلاته نافلة له . (سنن البيهقي الكبرى - الجزء ١ - ص ٨١ - رقم الحديث ٣٨٨) .

فلَو جرَّدْنا هذا الحديث من صيغته الدِّينيَّة ، لأَصبح : إذا غسلَ الإنسانُ وجهه وأطرافه ، فمَضْمض ، خرجت الأوساخُ من فَمه ، فإذا استَنْثَر ، خرجت الأوساخُ من أنفه .. إلى آخر الحديث .

بالله عليكِ يا أختي الكريمة ، أيُّ الصِّيغَتَيْن أكثر إيقاعًا في النَّفس وأسرع في تَنشيطها : الصِّيغةُ الدِّينيَّة التي تُركّز على الفائدة المباشرة التي سيَجْنيها الفردُ بعد كلِّ وضوء ، وهي التَّخلُّص من خطاياه ، أم الصِّيغةُ الصِّحّيَّة التي تُشير فقط إلى فائدة بدنيَّة ، ربَّما لا يهتمُّ بها الفرد على الفور ، وهي إزالة الأوساخ ؟!

طبعًا الصِّيغة الدِّينيَّة لأنَّ الأجر فيها فَوري ومُضاعف ،

فيُصبح الفردُ يُكثِر من الوضوء رغبةً في الحصول على أجْر أكبر .

مثال آخر : روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إنَّ الله يُحبُّ العطاسَ ، ويَكْره التَّثاؤب . فإذَا عطسَ أحدُكُم وحَمد الله ، كان حقًا على كلِّ مُسْلِم سَمِعَهُ أن يقولَ له : يَرْحَمك الله . وأمَّا التَّثاؤب ، فإنَّما هو من الشَّيطان . فإذَا تثاءبَ أحدُكُم ، فلْيَرُدُّهُ ما اسْتَطاع ، فإنَّ أحدَكُم إذَا تثاءبَ ضَحِكَ منه الشَّيطان . (الجامع الصَّحيح المختصر - الجزء ٥ - ص ٢٢٩٨ - رقم الحديث ٥٨٧٢) .

وفي رواية لابن ماجه في سُنَنه عن أبي هُرَيْرة أيضًا ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : إذا تثاءبَ أحدُكُم ، فلْيَضَعْ يَدَه على فِيه ولا يَعْوِي ، فإنَّ الشَّيطانَ يَضْحَكُ منه . (سنن ابن ماجة - الجزء ١ - ص ٣١٠ - رقم الحديث ٩٦٨) .

بالله عليكَ يا أخي الكريم ، أليس مُجَرَّد سماع أنَّ الشَّيطان يضحكُ منك عندما تتثاءب ، يُدخل الاشمئزاز

على نفسك ويَحثُّك ، إن كـنتَ تتثاءب دون وضع يدك على فمك ، أن تُغيِّر فوراً هذه العادة ؟!

مثال ثـالث : روى الإمام أحـمد في مُسنَـده عن عبد الله بن حنظلة ، غسيل الملائكة رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : دِرْهَمُ رِبًا يأكلُه الرَّجلُ وهو يعلمُ ، أشَدُّ مـن ستَّة وثلاثين زَنْيَة . (مسنـد الإمام أحمد بن حنبل - الجزء ٥ - ص ٢٢٥ - رقم الحديث ٢٢٠٠٧) .

فهل يمكـن لِمسـلمٍ صـادق أن يَقـرب الـرِّبـا بعـد هـذا التَّحذير ؟! وهل يستطيع المسلمُ الـذي يتعامل بالرِّبا أن يسمع هذا الحديث دون أن تهتزَّ له كُلُّ مشاعـره ، فيعزم على التَّوبة مِن هذا الفعل الشَّنيع ؟!

مثـال رابع : روى ابنُ حِبَّان في صحـيحه عن أمّ سَلَـمَة رضي الله عنهـا ، أنَّ رسولَ الله صلّـى الله عليه وسـلَّم قال : إنَّـما أنـا بَشَـر ، وإنَّكُم تَخْـتَصِمُـون إلَيَّ ، ولَعَلَّ بـعضَكُم أن يكـونَ ألْحَنَ بحُجَّته (مِـنْ بَعْض) ، فأقْـضِي له على نَحْـوِ ما أسْمَعُ منه ، فَمَنْ قَـضَيْتُ له بشَيْءٍ مِنْ حَـقِّ أخيه فلاَ يأخُذْ منه شَيْئًا ، فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّار ! (صحيح ابن حبّان

- الجزء ١١ - ص ٤٥٩ - رقم الحديث ٥٠٧٠) .

فهل يمكن لِمُسلمٍ صادق أن يُفكِّر ، بعد هذا التَّحذير ، في الاحتيال والكذب لأخذ ما ليسَ له ؟! وهل يستطيع مَنْ فَعلَ ذلك أن يسمع هذا الحديث دون أن يُوبِّخه ضميرُه ويحثّه على التَّوبة إلى الله وإعادة الحقوق إلى أهلها وطلب السَّماح منهم ؟!

مثال خامس : روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنَس رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ما مِنْ مُسْلِم يَغرسُ غَرْسًا أو يزرعُ زرعًا ، فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بَهيمَةٌ ، إلاَّ كان له به صَدَقَة . (صحيح مسلم - الجزء ٣ - ص ١١٨٩ - رقم الحديث ١٥٥٣) .

بالله عليكِ يا أختي الكريمة ، ألَيس مُجَرَّد سَماع هذا الحديث مِن شأنه أن يُحرِّكَ في نَفْس المسلم على الفور رغبةً قويّة في عمَل أيّ شيء ينفع النَّاس ؟!

مثال أخير : روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : مَنْ دَعَا إلى هُدى كان له مِن الأجْر مِثْلَ أجُور مَنْ تبِعَه ، لا

ينقصُ ذلكَ مِنْ أجورهم شيئًا . ومَنْ دَعَا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعَه ، لا ينقصُ ذلك مِنْ آثامِهم شيْئًا . (صحيح مسلم - الجزء ٤ - ص ٢٠٦٠ - رقم الحديث ٢٦٧٤) .

باللهِ عليكَ يا أخي الكريم ، أليس مُجَرَّد سَماع هذا الحديث مِن شأنه أن يَملأ نَفْسَ المسلِم على الفور رغبةً في فعْل أيّ شيء يَهدي به غيْرَه إلى طريق الخير ؟! وهل يُمكن أن يسمع مسلمٌ هذا الحديث دون أن يمتلئ رُعبًا مِن فعْل أيّ شيء يُضلُّ به غيْرَه ، فيكون قد حصَّل من الإثم مثل آثام كلِّ مَن تَبِعَه إلى يوم القيامة ؟!

لا ، لا يُمكن ! وقد أفلَح فعلاً مَنْ حرصَ مثَلاً على دعْوة الفتيات إلى لُبس الحجاب والملابس الفضفاضة ، لأنَّه يُحصِّلُ بذلك مِن الأجْر مثل أجُور كلّ اللاّتي يستجبنَ لدَعْوته إلى يوم القيامة .

وقد خابَ في المقابل وخَسر مَن بذلَ طاقَته وجُهده لِدَعوة الفتيات إلى العُرْي والجري وراء الموضة ، وشَنَّ حملات ضدَّ المحجَّبات ، فعَلَيْه من الوِزْر مثل أوْزار كلّ اللاّتي يَتَّبعْنَ دَعْوته

إلى يوم القيامة .

وكذلك الحال بالنّسبة لكلّ مَن يفتحُ للنّاس بابًا للفساد ، مثل أصحاب البارات والملاهي اللّيليّة وقاعات السّينما الإباحيّة ، فعَلَيْهم من الإثم مثل آثام كلّ الذين يدخلُون هذه الأماكن إلى قيام السّاعة !

هل استشْعَرْتَ الآن يا أخي الكريم ، مَدَى خطورة أن تدعُو النّاسَ إلى ضلالة ؟!

لكن في المقابل ، إذا دعوْتَ النّاس إلى هُدى أو فتحتَ لهم بابًا للخير ، كأن بَنَيْتَ مسجدًا أو مدرسة أو مستشفى أو دارًا للأيتام ، فلكَ من الأجر مثل أجور كلّ من يستفيد من هذه الأماكن إلى قيام السّاعة .

وعلى كلّ حال ، فإنَّ مِن رحمة الله بعباده أن فتحَ لهم باب التّوبة ، فكلُّ مَنْ كان سببًا في إضلال غيره يستطيع في أيّ وقت أن يتوبَ إلى الله ويُقلع عمّا كان يفعلُه ، لعلّ الذين أضلّهم يتوبُون أيضًا عندما يسمعُون بتَوْبته ، فيكون له من الأجر مثل أجورهم جميعًا .

ارفع رأسك إنك مسلم .. إنك على الدين الحق !

وإذا كان لأحدٍ أن يَحني رأسه خجلاً ، فهو الذي يَستكبرُ عن عبادة الله أو عن الامتثال لأوامره . ولا يغرّنّك يا أخي ما يُروِّجُه البعضُ مِن أنّ التّمسُّك بتعاليم الدّين تخلُّفٌ ورجوع إلى عصُور الجهل والظّلام . فإذا كانت المحافظةُ على الصّلوات في أوقاتها ، والامتناعُ عن شُرب الخمر والزّنا والغشَ والسّهرات الماجنة ، تخلُّفًا ، فنِعْمَ التَّخلُّف إذًا !

فهذا التّخلُّف هو الذي أنتجَ في العصور الأولى عمالقةً فَتحُوا نصف الكُرة الأرضيّة في نصف قَرن من الزّمان ، وملأوا الدُّنيا عدلاً وأمنًا ! وهو الذي أنتجَ بعد ذلك العديدَ من

العباقرة ، أمثال ابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم ، في الطّبّ والرّياضيّات والفيزياء ، ملأوا الدُّنيا ثقافة وعلمًا !

وإذا كان المسلمون اليومَ قد تَركُوا الرّيادة لِغَيرهم ، فهذا يعُود إلى ابتعادهم شيئًا ما عن تَطبيق تعاليم دينهم . ولكن ، يومَ يعُودون إلى الاعتزاز بهذا الدّين ، فستعودُ لهم العزّةُ والرّيادةُ بإذن الله ، وسيقودونَ العالَم من جديد إلى العدل والرّخاء ، كما قادُوه في القُرون الأولى من ظهور الإسلام .

نختم بقصّة شابّ تحوّل من المسيحيّة إلى الإسلام

هذا الشّابّ اختار لنفسه بعد إسلامه اسم سيف الإسلام التُّهامي ، يقول : وُلدتُ في القاهرة بمصر في ٣٠-٧-١٩٨٠ م ، من أب أرمَني كاثوليكي وأمٍّ إنجيليَّة . وكانت ابنةُ عمِّ أبي راهبةً في مدرسة راهبات الأرمن ، وكان خالي قِسّيسًا في إحدى الكنائس الإنجيليَّة ، وكان لي أختان أكبر منّي بأربع سنوات .

نشأتُ نشأةً مسيحيَّة بَحْتَة ، فمنذُ نعومة أظافري وأنا أذهب إلى الكنيسة كلّ يوم أحد وفي الأعياد وفي كلّ وقت أشاء ، حيثُ لم يكُن علَيّ رقيبٌ في ذلك . وكنتُ أُحبُّ

الذّهاب إلى الكنيسة والاستمتاع بكلّ ما فيها من شعائر وصلوات ، وأُحبُّ أيضًا الألعاب والمعسكرات والرّحلات التي تُنظّمها .

التحقتُ بمدرسة نوباريان الأرمنيّة ، وهي مدرسة لا تَقبلُ إلاّ نصارى الأرمن . وكان أوّل ما نفعلُه صباحًا في طابور المدرسة هو الصّلاة ونحنُ واقفون في صَفّنا . وكانت توجدُ كَنيسة بالمدرسة ، وكان أكثر المدرّسين نصارى . فلَم يكُن لي إذًا أيّ اختلاط بالمسلمين ، إلاّ بالقليل من أصدقائي في الحيّ . وكانت مُعظم أوقاتي أُقضّيها في الكنيسة ، حيثُ كنتُ أعملُ كشَمّاس ، أُساعدُ القِسّ في مراسم القدّاس (أي الصّلاة Messe) .

واستمرّ بي الحال على ذلك حتّى وصلتُ إلى المرحلة الثّانويّة ، وبدأتُ أرتبطُ بالكنيسة والقساوسة أكثر من ذي قبل . وكنتُ سعيدًا جدًا بهذه العلاقة لأنّني كنتُ من المقرّبين لديهم . وأصبحتُ أقوم بِمُعظَم شعائر القدّاس ، من قراءة للإنجيل ، ورَدٍّ على القسّ عندما يتلُو أيّ شيء منه ، بالإضافة إلى تحضير القربان والخمر ، أعاذكُم الله منها .

وفي يوم ، كنتُ جالسًا مع أحد أصدقائي المسلمين ، فقال لي : ألنْ تُسلمْ ؟ قلتُ : ولِمَ أُسلِمْ ؟! ولِمَ لا تتنصّرُ أنت ؟! قال : أنتم كلُّكم في النّار !

فنزلَتْ علَيّ هذه الجملة نزول الصّاعقة ! النّار ؟! لماذا النّار ؟! أنا أعملُ كلّ عَمل صالح لأتقرّبَ إلى ربّي وأدخل الجنّة ، ثمّ يقول لي أنّني سوف أدخل النّار ؟!

عندما هدأتُ ، سألتُه : لمَاذَا أدخلُ أنا وجميع المسيحيّين النّار ، وأنتم المسلمون تدخلون الجنّة ؟! قال : لأنّكم تقولون أنّ الله ثالثُ ثلاثة ، وأنّ المسيح ابنُ الله ، وغيرها من الافتراءات على المسيح ! قلتُ : وكيف عرفتَ كلّ هذه الأشياء ؟! هل قرأتَ الإنجيل ؟! قال : لا ، بل قرأتُها في القرآن . فاستغربتُ أيضًا من ذلك ! فكيف يعرفُ القرآنُ ما في ديننا ؟! وكيف يُقرّر أنّ هذه الأشياء التي نقولها عن المسيح كلّها كُفرٌ وتؤدّي إلى النّار ؟!

بدأتُ أتفكّر مليًا في هذا الأمر ، ثمّ ، ولأوّل مرّة بدأتُ أقرأ الإنجيل بتمعّن . فقد كانت على قلبي غشاوة . وبدأتُ أكتشفُ الاختلافات الشّديدة في ذكْر نسَب المسيح ، وادّعاء

أُلوهيَّته تارة ونُبُوَّته تارة ! وبدأتُ أتساءل : مَنْ هو المسيح إذًا ؟ أهُو نَبيٌّ ، أم ابنُ الله ، أم هو الله ؟!

فأعددتُ بعضَ الأسئلة ، ثمَّ ذهبتُ بها إلى القسَّ لكي أحصل على الإجابات الشَّافية ، ولكنَّني لَم أجدْ عنده ما يُثلجُ صدري . وأتذكَّر أنّي سألتُه مرَّة : لِماذا يقول الإنجيلُ أنَّ المسيح جالسٌ على جبل الزَّيتون يَدعُو الله ؟ فإن كان هو الله حقًا ، فمَنْ يَدعُو ؟! ولِمَنْ يَسجُد ؟! فأجابني إجابات لَم أفهم منها شيئًا !

ثمَّ بدأتُ أتفكَّر فيما نفعلُه في الكنيسة ، من اعتراف بالخطايا والذُّنوب للقسِّ ، والمناوَلة ، وهي عبارة عن جلاش طريٍّ يُوضَع في الخمر ، فيقول القسُّ أنَّ هذين الشَّيئين صارا دَم وجَسَد المسيح ومَن يأخُذهُما يُغفَر له ويُطهَّر من الدَّاخل !

وتساءلتُ : كيفَ يَغفرُ ذُنوبي بَشرٌ (أي القسِّ) ، مثله مثلي ؟! وهو (أي القسّ) ، لِمَن يَعترفُ ؟! ومَن يغفرُ له ؟! وكيف يُحَلُّ دمُ وجسدُ المسيح في هذه الكأس ؟! وكيف يُطهِّر ما في داخلي ويَغفر ذنوبي ؟!

وبدأت الأسئلةُ تتلاحق في ذهني ولَم أجد لها إجابات .

وبدأتُ أتّخذُ قراراتٍ من نفسي ، مثل عدم الاعتراف للقسّ لأنّه بشرٌ مثلي ، وعدم أخذ المناوَلة ، وآمنتُ أنّ المسيح عليه السّلام نبيٌّ لأنّه بَشر ، وأنّ الله له صفات الكمال الخاصّة به والتي تَتنافَى مع صفات البشر ، وبدأتُ أقرأ الإنجيلَ دون أن أقول : " ربُّنا يَسوع المسيح " ، بل أقول : " يسوع المسيح " فقط . ومع ذلك ، لَم أشعُر أنّ هذا هو الحلّ السّليم .

وذات ليلة ، كنتُ أُذاكرُ دروسي في غرفتي ، في منزل والديَّ ، وكان خلف منزلنا مسجد . وكنّا في شهر رمضان ، فكان المسلمون يُصلُّون صلاة التّراويح ، بعد صلاة العشاء ، وكان صوتُ الإمام يَصلُ إلى غُرفتي عَبْر مُكبّرات الصّوت ، وهو يقرأ القرآن بصوت خافت وجميل ، فشعرتُ بحَلاوةٍ تمسُّ قلبي .

ثمّ جاءت اللّحظة التي شرح الله فيها صدري للإسلام ، وكان ذلك يوم الأحد داخل الكنيسة ، عندما كنتُ أقرأ الإنجيل قبْلَ القُدّاس ، استعداداً لقراءته على النّاس خلال الصّلاة . وأثناء استعدادي ، سألْتُ نفسي : هل سأقول : " ربُّنا يسُوع المسيح " ؟ أم " يسُوع المسيح " فقط ، لأنّه نبيٌّ

وليس إلها ؟ ولكن إذا قلتُ ذلك ، فسوف يُلاحظُ الحاضرون أنّني تجاوزتُ كلمة " ربّنا " ، وإذا قُلتها فسوف أخالفُ ضميري .

وفي النّهاية ، قرّرتُ أن أقرأ الإنجيل كما هو دون تغيير ، ما دمتُ أمام النّاس ، وأن أقرأه بدون كلمة " ربّنا " عندما أكون بمُفرَدي . وجاء موعد قراءتي للإنجيل خلال القُدّاس ، فبدأتُ أقرأ بثَبات ، تمامًا كما هو مكتوبٌ ، حتّى وصلتُ إلى جملة : " ربّنا يَسُوع المسيح " ، فلم أشعر بنفسي إلاّ وأنا أتجاوزُ كلمة " ربّنا " ، وأبى لساني أن ينطقَ بها . فتعجّب القسُّ من فعْلي هذا ، وأشار إليّ بالجلوس . فتوقّفتُ عن القراءة وجلستُ ، وأكملْنا الصّلاة بشكلٍ طبيعي .

فلمّا انتهينا ، توجّهتُ إلى الغرفة الخاصّة بنا ، وهناك سألني القسُّ : لِمَ فعلتَ ذلك ؟! لِمَ لم تقرأ الإنجيل كما هو ؟! فلم أُجبهُ ، وقلتُ له : إنّي أريدُ أن أذهب إلى بيتي لأستريح . ثمّ ذهبتُ إلى غرفتي وأنا في غاية الدّهشة : لماذا فعلتُ ذلك ؟! ماذا حدثَ لي ؟!

ومنذ ذلك اليوم ، أصبحتُ أنام دون أن أتمّ ما كنتُ

اعتدتُ قراءته يوميًّا من الإنجيل ، وأصبحتُ لا أشعرُ بالرَّاحة ، لا في الصَّلاة ، ولا في القراءة ، ولا حتَّى في الذَّهاب إلى الكنيسة . وظللتُ أتفكَّر في حالي ، وتخترقُ أُذُني تلكَ الكلمة القاسية التي قالَها لي صديقي المسلم : كلُّكم في النَّار !

ثمَّ أقبلتُ على القراءة الجادَّة في كتب المقارنات والكتب الإسلاميَّة ، فعرفتُ أنَّ المسيح نبيٌّ ، قال اللهُ له : كُنْ ، فكان ، واكتشفتُ أنَّ المسيح وأمَّه مريَم عليهما السَّلام مُكَرَّمان غاية التَّكريم في القرآن ، وعلمتُ أيضًا أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم مذكورٌ في إنجيل العهدَين ، القديم والجديد . فتأكَّدتُ حينئذ أنَّ الإنجيل الذي بين يَدَيَّ مُحَرَّف ، واقتنعتُ أنَّ الإسلام هو الدِّينُ الحقُّ ، وأنَّ الله لا يرضى غيره دينًا ، وأنَّه هو الطَّريق إلى الجنَّة وإلى النَّجاة من النَّار .

ثمَّ ذهبتُ إلى إحدى المكتبات واشتريتُ مصحفًا للقرآن الكريم وبدأتُ أقرأ فيه ، فأحسستُ براحة غريبة في داخلي . وانشرح صدري للإسلام ، فأخبرتُ أخواتي بذلك ، فعجبتْ

أنّهنّ قد سَبقْنَني إليه ! فنطقتُ عندئذ بالشّهادتَيْن : أشهدُ أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله .

لقد وُلدتُ من جديد ، فَمَا أجملَهُ من دين ، وما أعظمَهُ من إله واحد لَم يَلِدْ ولَم يُولَد ولَم يكُن له كُفُوًا أحَد . اللّهمّ فلَكَ الحمدُ على نعمة الإسلام وعلى نعمة الإيمان ، اللّهمّ ثَبّتْني على ما أنا عليه ، واجعلْ آخرَ كلماتي في هذه الدُّنيا : لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسولُ الله ، من أجلها أحيا ومن أجلها أموت وبها ألقاك ، وصلّ اللّهمّ على سيّدنا محمّد وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدّين .

(نقلاً ، مع تصرّف بسيط في سرد القصّة ، عن موقع طريق الإسلام www.islamway.com) .

وبعد ، أيّها القارئ الكريم !

وصلنا إلى خاتمة هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون قد زادكَ معرفة بالإسلام ، دين كلّ الأنبياء .

وإذا أردتَ الاستفادة من بقيّة الكتب لنفس المؤلّف ، فهي كما يلي :

١- البلوغ ، الطّهارة والصّلاة .. خطوة خطوة !

٢- الطّريق إلى الجنّة .. بالأدلّة الصّحيحة من القرآن والسُّنّة

٣- نهاية الدّنيا وأحداث القيامة .. كأنّك تعيشها وتراها !

٤- لا صلاة ولا طاعات .. فبمَ ستلقى ربّ الأرض والسّماوات ؟!

٥- سنة أولى زواج . . نصائح وأسرار !

٦- أطفالك أمانة في عنقك . . فلا تُضيّع الأمانة !

٧- كيف تكسب محبّة النّاس . . وتنجح في محادثاتك معهم ؟

٨- كيف تنجح في دراستك . . وتتفوّق في كلّ الموادّ؟!

٩- إلى الذي سأل : أين الله ؟! . . الله موجود ، وإليك الأدلّة

١٠- هذا هو نبيّك محمّد . . فهل أنت حقّا من أمّته ؟!

١١- هكذا تُشوّه صورة الإسلام . . شبهات وردود

١٢- أما آن لك أن تعتنق الإسلام . . : موجّه لغير المسلمين .

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٢٤٣١
I.S.B.N: 977-15-0629-3

في هذا الكتاب

سنتحدث ، أيها القارئ المسلم ، عن الإسلام ونقارنه بالديانات السماوية الأخرى ، لكي تزداد معرفة وفخرًا بدينك . لا مجال إذًا لإخفاء اعتزازك بدينك بعد اليوم !

